

فاعلية العلاقات النحوية في تداولية النص

د. إيهاب سعود

فاعلية العلاقات النحوية في تداولية النص

د. إيهاب سعود

دكتوراه النحو والصرف والعروض

كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

Ea2030@yahoo.com



بسم الله الرحمن الرحيم



إهداء

أهدي هذا البحث المتواضع إلى أستاذي العلامة الشاعر
الأستاذ الدكتور شعبان صلاح
أستاذ النحو والصرف والعروض بكلية دار العلوم
متمنياً له دوام الصحة والعافية..

المحتويات

٥ الملخص
٦ المقدمة
١٠ المبحث الأول البُعد التداولي للنص
١٨ تفاعلية العلاقات النحوية والبعد التداولي للنص
١٩ العلاقات النحوية وأمن اللبس
٢٨ البُعد التداولي، وتنظيم بنية النص
٤١ المبحث الثاني القصدية والتقبلية
٤٢ القصدية
٥٠ التقبلية
٦٣ ثبت المصادر والمراجع



فاعلية العلاقات النحوية

في تداولية النص

الملخص:

في هذا البحث يتم تناول فاعلية العلاقات النحوية في تداولية النص؛ وذلك من خلال محورين أساسيين؛ تم إفراد مبحث مستقل لكل منهما. في المبحث الأول تم تناول البعد التداولي للنص، وفيه تم التأكيد على أن المستوى التداولي للنص لا ينفك عن المستوى التركيبي الذي يقوم في جوهره على العلاقات النحوية؛ إذ إن الرافد اللغوي يُعدُّ أهمَّ الروافد التي تستمد منها التداولية وجودها. وفي المبحث نفسه تم عرض بعض الإرهاصات الدالة على وعي أسلافنا القدامى بأهمية التركيب اللغوي في تداولية النص، ومدى أهمية ما تحققه العلاقات النحوية لأمن اللبس داخل النص، وتم عرض النماذج والأمثلة الدالة على ذلك شعراً ونثراً.

وفي المبحث الثاني عرض البحث للقصدية والتقبلية؛ إذ إنهما يشكلان معيارين من المعايير السبعة التي يتنصص بها أيُّ نص شعراً كان أو نثراً. فالقصدية لا تتحقق إلا بتحقيق السبك والحبك اللذان لا يتحققان إلا بتحقيق ووجود العلاقات النحوية، وقد وعى ذلك علماء العربية القدامى، وتم عرض النماذج المفسرة لذلك. كما أن التقبلية في أساسها مبنية على تبادل الكلام بين الأطراف المتخاطبة، ولا بد من توافق القصدية مع التقبلية، وإلا كانت التداولية سالبة تجعل منتج النص في وادٍ والمتلقي في وادٍ آخر، كمت سيتم مناقشته باستفاضة داخل البحث.

الكلمات المفتاحية: العلاقات النحوية - التداولية - النص - البعد التداولي - القصدية - التقبلية - أمن

اللبس.



المقدمة:

لا يمكن أن يُتصوّر وجود لغة من اللغات دون أن تكون هناك مجموعة من العلاقات تربط بين ألفاظها ومعانيها، وحين تخلو لغة ما من مثل هذه العلاقات تتحول إلى لغة هوائية لا يمكن أن تؤدي أعظم وظيفة للغة، وهي الفهم والتواصل بين أفراد المجتمع. وهذا ما أقره سوسير؛ إذ رأى أن اللغة "نظام من العلاقات بين الوحدات التي تشكلها، وهذه الوحدات ذاتها تتشكل هي الأخرى من الاختلافات التي تميزها عن سواها من الوحدات التي لها بها علاقة. وهذه الوحدات لا يمكن أن يُقال إن لها وجوداً بذاتها؛ بل تعتمد في هويتها على أندادها. فالمحل الذي تحتله وحدة ما سواء أكانت صوتية أو معنوية في النظام اللغوي هو الذي يحدد قيمتها."^(١)

وما دفع الباحث إلى رصد فاعلية العلاقات النحوية في تداولية النص هو ما لاحظته من إهمال للجانب التداولي في المقاربات والدراسات النصية العربية الحديثة؛ علّ أن يكون في ذلك تأكيداً على أن النص لا يقتصرُ فقط على كونه بنيةً تركيبيةً لها ظاهرٌ وباطن، وإنما هو آلةٌ للتواصل بين فردٍ وآخر، أو بين فردٍ وعدة أفراد.

وهو ما دفع فان ديك في كتابه [النص والسياق] إلى إدراج المستوى التداولي في تحليل الخطاب؛ إذ يرى "أن النحو المصاغ على هذا الشكل ينبغي أن يُوسّع [أن يُتمم] بمستوى وصفي ثالث، وهو مستوى العمل [Action]؛ بمعنى أن القول لن يُوصف

(١) النبوية وما بعدها - جون ستروك - ترجمة د. محمد عصفور - عالم المعرفة - ع ٢٠٦ - الكويت ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م:



فقط باعتبار بنيته الداخلية والمعنى المسند إليه، وإنما سيُوصف أيضًا باعتبار الفعل المنجز بإنتاج مثل هذا القول؛ أي إنَّ إضافة هذا المستوى سيمكِّن من إعادة بناء جزء من المقتضيات التي تجعل الأقوال مقبولة تداوليًا، وبتعبير آخر مناسبتها إلى السياق التواصلي الذي تُنجز فيه.^(٢)

ومن ثم يتحتّم أن يدخل ضمن عناصر تحديد النص شيء آخر غير بنيته التركيبية؛ فالنص وإن كان في ذاته صياغة لغوية؛ فإنه إلى جانب ذلك بنية أدائية؛ حتى إن قيمته الأدبية كثيرًا ما تكون رهينة المقام الذي يسلك فيه، وهذه هي البنية الإفضائية التي تتوالج مع البنية التركيبية. ومن ثم فالنص تركيبٌ وأداء أو هو لفظٌ وتلفظٌ واستقبال.^(٣) أي إن النص لا بد أن يتضمن رسالةً لغويةً تنتقل بين طرفي عملية الاتصال [المرسل - المرسل إليه] أو [المنتج - المتلقي]، وتكون هاته الرسالة محكومةً بضوابط لغوية [الجانب التركيبي]، وضوابط دلالية [الجانب الدلالي]^(٤)، والجانب التداولي، ويمكن توضيح ذلك بالشكل الآتي:

(٢) لسانيات النص - محمد خطابي - المركز الثقافي العربي - ط ١ - ١٩٩١م: ص ٢٩

(٣) انظر: قضية البنيوية [دراسة وتمادج] - عبد السلام المسدي - دار الجنوب للنشر - د. ط - تونس ١٩٩٥م: ص ٥٢

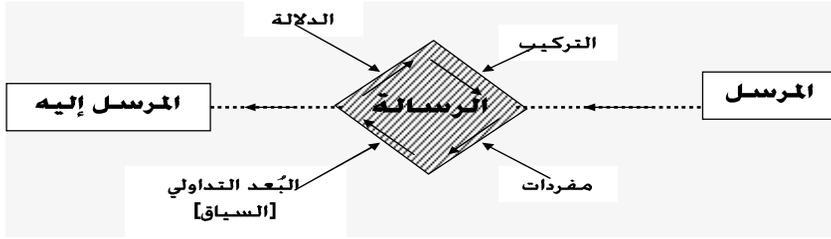
(٤) ورغم أن الدلالة والتداولية كليهما تُعنى بقضية المعنى؛ فقد ذهب ليتش LEECH إلى التفريق بينهما؛ ومن أجل وُضِع حدود فاصلة بينهما. ومن ثم رأى أن الفرق بينهما يتمثل في أن [الدلالة] تهتم بالمعنى MEANING في ذاته، في حين تستحضر التداولية لفهم المعنى عنصر المتكلم SPEAKER أو مستعمل اللغة USER LANGUAGE مع ما يقصده من مقصود. [انظر: البعد التداولي عند سيوييه - مقبول إدريس - عالم الفكر - ١٤ - مج ٣٣ يوليو، سبتمبر ٢٠٠٤م: ص ٢٨٦].

ويمكن أن يتضح ذلك من خلال المثال الآتي: [سبحان الله]

١- الدلالة: تنزيه الله سبحانه وتعالى.

٢- التداول: التعجب الكامن في الجملة.





ومن خلال ذلك الشكل يكون النص غير مغلق على جهازه اللفظي والمعنوي؛ إذ يُشَتَّت رتبة توزيع اللغة؛ ليحركها لأبعادٍ معرفية مفتوحة ذات بنية فراغية حجمية غير محددة بمستوى واحد مع اكتمال حركية المعنى التي يتركها النص بما يتناسب وسوية المتلقي. وهذا النص يوظف العلاقة التواصلية بين المفردات بطريقة مختلفة؛ نقيضة اختلافية يفتح اللغة على مساحة غير منضبطة من سياقات البناء الداخلي، وسياقات القراءة؛ وذلك لتستمد القصيدة حركيتها وعنقها من تحريك الدلالات في سياق بعدي جديد ومختلف.^(٥)

وللكشف عن فاعلية العلاقات النحوية في الجانب التداولي للنص؛ فإن البحث سيوضِّح ذلك من خلال محورين تتحقق بهما تداولية النص؛ شعراً كان أو نثرًا، ويساعد على ذلك أن التداولية "لا تمتلك وحدات تحليل خاصة units of analysis بها ولا موضوعات مترابطة Correlation topics"^(٦) وهذان المحوران هما:

(٥) انظر: زمن النص - د. جمال الدين الخضور - دار الحصاد للنشر والتوزيع - ط ١ - سورية، دمشق ١٩٩٥م ص ١٠٧.
(٦) انظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر - د. محمود أحمد نحلة - مكتبة الآداب - ط ١ - القاهرة ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م: ص ١٤ - ١٥.

١- البُعد التداولي للنص.

٢- القصديّة والتقبليّة.

فالمحوران السابقان سيوضحان أهمية التداولية؛ إذ تسهم في وصف النص العربي ورصد خصائصه التي يمتاز بها عن اللا نص؛ لذلك رأى الدكتور مسعود الصحراوي أن استثمار التداولية "في قراءة الإنتاج العلمي لعلمائنا القدامى؛ سيسهم أيضًا في اكتشاف، وتثمين جوانب من الجهود الجبّارة التي بذلها أولئك العلماء الأجلاء."^(٧)

(٧) التداولية عند العلماء العرب [دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي] - د. مسعود الصحراوي - دار الطليعة للطباعة والنشر - ط ١ - بيروت، لبنان يوليو ٢٠٠٥م: ص ٦



المبحث الأول البُعد التداولي للنص

من اللافت للنظر في الدراسات المعاصرة أنه لم يُعد يُنظر إلى التداولية على أنها النظرية التي تهتم بالمشكلات اللغوية الهامشية Marginaux التي لم تعالجها اللسانيات [الفونولوجيا - التركيب - الدلالة]؛ إذ كان هناك اتجاه ما لتعريف التداولية في سبعينيات القرن المنصرم بأنها قمامة اللسانيات.^(٨)

وقد زاد الاهتمام بالتداولية مع ظهور نظرية علم النص التي انصهر فيها - من وجهة نظر البحث - عدة معايير مختلفة تحقّق نصية النص؛ منها ما يهتم بالجانب التركيبي [السبك] ويكون ظاهراً على سطح النص. ومنها ما يهتم بالجانب الدلالي [الحبك] ويكون مقرّهُ في باطن النص، ومنها أيضاً ما اهتم بالجانب التداولي [القصدية - التقبيلية - الإعلامية - الموقفية].

ومن ثم غدت التداولية بصورة عامة تَهْدَف إلى دراسة اللغة في الاستعمال؛ لذلك فهي تبلور الجانب الأكبر والأهم من جوهر علم النص؛ مما يؤدي إلى حدوث نقلة نوعية؛ لأن هذا "يعني الانتقال من دراسة اللغة في نظامها الافتراضي إلى دراستها في تجليها

(٨) انظر: البُعد التداولي عند سيويوه: ص ٢٤٥



الطبيعي؛ حيث يستعملها الناس إنتاجًا وتلقيًا في موقف ما؛ من أجل التواصل والتفاعل.^(٩)

وهناك تعريفات متعددة للتداولية أبرزها:

• التداولية: هي دراسة اللغة من وجهة نظر وظيفية Functional perspective^(١٠).

• التداولية: هي دراسة كل جوانب المعنى التي تهملها النظريات الدلالية^(١١).

والتعريفان السابقان يتناغمان مع موضوع البحث؛ فالتعريف الأول - على حد تعبير الدكتور محمود نحلة - يحاول أن يوضح جوانب التركيب اللغوي بالإحالة إلى أسباب غير لغوية.^(١٢) كما أن التعريف الثاني يهتم بالتفاعلات الدلالية المشكّلة لباطن النص.

فالمستوى التداولي - من وجهة نظر البحث - لا يمكن أن ينفك بأيّ حال من الأحوال عن المستوى التركيبي داخل النص؛ فاللغة عمومًا ولغة النص خصوصًا وجودها واستمرارها مرهونٌ بالاستعمال. ويؤكد ذلك تشارلز موريس Charles morris؛ إذ يرى أن التداولية أحد الفروع الثلاثة المشكّلة لعلم العلامات أو السيمية Semiotics، وهاته الفروع هي^(١٣): علم التراكيب Syntax، علم الدلالة Semantics، التداولية Pragmatics.

(٩) علم النص [أسسه المعرفية وتجلياته النقدية] - د. جميل عبد المجيد حسين - مجلة عالم الفكر [في الأدب والنقد

والبلاغة] - مج ٣٢ - ٢٤ - أكتوبر، وديسمبر ٢٠٠٣م: ص ١٤١

(١٠) انظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ص ١٢

(١١) انظر: السابق ص ١٢

(١٢) انظر: السابق ص ١٢

(١٣) انظر: السابق ص ٩



وقد تأكّد هذا التضافر من خلال التحليل النصي، ومن ثمّ فالبحثُ لا يتفق مع ما رآه الدكتور محمود نحلة من أنّ "الأخطاء التداولية لا علاقة لها بالخروج على القواعد الفونولوجية أو النحوية أو الدلالية، وهي ليست مستوى يُضاف إلى هذه المستويات."^(١٤) وهذا لا يتعارض مع كون البحث يتفق مبدئياً مع الدكتور نحلة حول عدم اندراج التداولية تحت أو ضمن أي مستوى من المستويات الفونولوجية أو النحوية أو الدلالية؛ لكن في الوقت نفسه؛ فإنّ البحث لا يمكن أن يتغافل عن الكشف عن أهمية الجانب التركيبي للنص في تداوليته؛ إذ إنّ المستوى التركيبي النحوي والدلالي يُسهمان في التداولية الخاصة بنصّ ما.

ومن ثمّ فالروافد التي تستمد التداولية وجودها منها ثلاثة:

١- **الرافد المعرفي:** وتقدمه بعض المباحث في علم النفس المعرفي، ويتمثل

ذلك في الاستدلالات والاعتقادات والنوايا.

٢- **الرافد التواصلية:** ويشمل ذلك أغراض المتكلمين واهتماماتهم ورغباتهم.

٣- **الرافد اللغوي:** ويتمثل ذلك في الدور المهم والفعّال الذي تقدّمه

العلاقات النحوية داخل النص^(١٥).

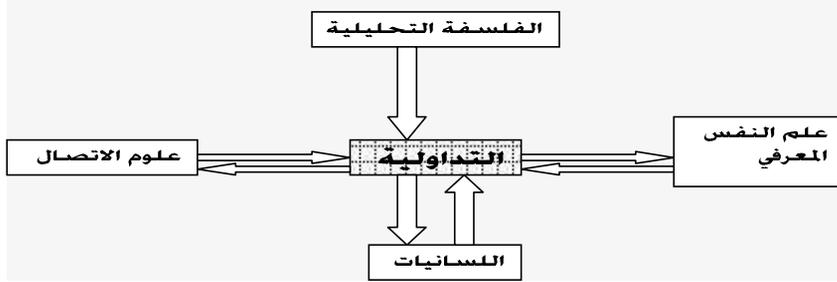
(١٤) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ص ١٠.

(١٥) استمد البحث الرافدين الأول والثاني من كلام الدكتور مسعد الصحراوي في كتابه [التداولية عند العلماء العرب]. انظر: ص ٢٨.



ويؤكّد ذلك أن فلاسفة التحليل اكتشفوا "عدة ظواهر لغوية من وجهة نظر تداولية ودرسوها، ويتميز تحليلهم لها بالجدّة والعمق. والظواهر المدروسة كثيرة يتعذر التعرض لها في هذا المقام، وأهمها: الإحالة، والاقتضاء، والاستلزام الحوارية، ومفهوم الافتراضات المسبقة، وظاهرة الأفعال الكلامية."^(١٦)

وبناءً على ذلك؛ فالتداولية تمثل حلقة وصل قوية بين عدد من العلوم الإنسانية ويمكن توضيح ذلك بالشكل الآتي^(١٧):



مع ملاحظة أن تعدد تعريفات التداولية أدّى إلى تعدد الترجمات المقدمة لمصطلح Pragmatics فضلاً عن ترجمته بالتداولية؛ فقد "ترجم إلى الذرائعية، والمقصدية، والمقامية، والتداولية أكثرها شيوعاً، وأقربها إلى طبيعة البحث فيها؛ إذ هو منظور فيه إلى تداول اللغة بين المتكلم والمخاطب الذي يدل على التفاعل الحي بينهما في استعمال اللغة."^(١٨)

(١٦) التداولية عند العلماء العرب - د. مسعود الصحراوي - دار الطليعة للطباعة والنشر - ط ١ - بيروت، لبنان يوليو ٢٠٠٥م: ص ٢٥.

(١٧) الشكل نقلاً عن [التداولية عند العلماء العرب] ص ٢٦

(١٨) انظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ص ٥٤

ومن اللافت للنظر وجود بعض اللمحات والإرهاصات الدالة على وعي نحائنا القدامى بأهمية التداولية أو الاستعمال، ويمكن استطلاع ذلك في كتاب سيويوه وهو أول كتاب يصلنا في علم النحو؛ يقول سيويوه عن الكلام: "فمنه مستقيم حسنٌ ومحال ومستقيم كذب ومستقيم قبيح وما هو محال كذب. فأما المستقيم الحسن؛ فقولك أتيئك أمس وسأتيك غداً، وأما المحال فإن تنقض أوّل كلامك بأخيره؛ فتقول أتيك غداً وسأتيك أمس. وأما المستقيم الكذب؛ فقولك حملتُ الجبلَ وشربتُ ماء البحر ونحوه، وأما المستقيم القبيح؛ فإن تضح اللفظ في غير موضعه نحو قولك قد زيداً رأيت، وكي زيدُ يأتيك وأشباه هذا، وأما المحال الكذب؛ فإن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس^(١٩).

ففي النص السابق لم ينظر سيويوه للتركيب فقط وإنما قرّن ذلك بالاستعمال، ومن ثمّ كانت أحكامه على أنماط تركيبية مختلفة؛ منها المستقيم الحسن، والمستقيم الكذب اللذان يحققان التداولية الموجبة. والمستقيم القبيح الذي يحقق التداولية السالبة يمكن أن يعثر متلقي النص منها على فائدة ولكن يبقى هناك قبح تركيبية؛ نتيجة وضع اللفظ في غير موضعه. والمحال والمحال الكذب اللذان يولّدان تداولية صفرية لا يمكن لمتلقي النص أن يعثر من خلالها على فائدة معينة.

(١٩) الكتاب - أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيويوه - تحقيق: عبد السلام محمد هارون - دار الجيل - د.ط / د.ت - بيروت: ج ١ / ٢٥ - ٢٦



ويُلاحظ أنّ سيبويه "لما تحدث عن صنف [المحال] لم ينعته بـ: مستقيم أو حسن كما فعل مع الأصناف الأخرى، مما يدل على عدم كفاية هذا الصنف التواصلية، ومن ثم عدم الاعتداد به تداولياً في اللسانيات العربية."^(٢٠)

وقد وضع علماء العربية أحكاماً مختلفة يمكن أن تعبّر عن درجات التداولية^(٢١) الخاصة بمختلف التراكيب؛ وما وافق القياس من الكلام وكان كثير التداول من خلال كثرة استعماله على الألسن؛ فإنهم ينعته بـ [عربي أصيل] و [عربي]، مثل: [حسن - جيد - كثير - أكثر - أعرف] فضلاً عن وجود بعض الأحكام الأخرى، مثل: [ضعيف - قبيح - شاذ - رديء - لا يقاس عليه]. يقول ابن جني: "ومن ذلك استعمالك أنّ بعد كاد نحو كاد زيد أن يقوم هو قليل شاذ في الاستعمال"^(٢٢) ويقول ابن السراج: "وتقول: رأيت متاعك بعضه فوق بعض إذا جعلت (فوق) في موضع الاسم المبني على المبتدأ، وجعلت المبتدأ بعضه كأنك قلت: رأيت متاعك بعضه أجود من بعض؛ فإن جعلت (فوق) وأجودها حالاً نصبت (بعضه) وإن شئت قلت: رأيت متاعك بعضه أحسن من بعض فتنصب (أحسن) على أنه مفعول ثانٍ وبعضه منصوب بأنه بدلٌ من متاعك. قال سيبويه: والرفع في هذا

(٢٠) التداولية عند العلماء العرب ص ٥٢

(٢١) تجدر الإشارة إلى وجود درجات للتداولية؛ إذ أشارت فرنسواز أرمينكو إلى ثلاث درجات من التداولية هي: "تداولية الدرجة الأولى: وهي دراسة الرموز الإشارية، ولها سياق خاص هو السياق الوجودي والإحالي. تداولية الدرجة الثانية: وهي دراسة طريقة تعبير القضايا في ارتباطها بالجملة المتلفظ بها في الحالات العامة، ولها سياق؛ إنه السياق الذهني؛ بل السياق المترجم إلى تحديدات العوالم الممكنة. تداولية الدرجة الثالثة: وهي نظرية أفعال اللغة، والسياق هو الذي يحدد فيما إذا تمّ التلفظ الجاد أو الدعابة." [المقاربة التداولية - فرانسواز أرمينكو - ترجمة سعيد علوش - مركز الانتماء القومي - د.ط/د.ت: ص ٣٨]

(٢٢) الخصائص - أبو الفتح عثمان ابن جني - تحقيق/ محمد علي النجار - عالم الكتب - د.ط/د.ت - بيروت: ج



أعرف والنصب عربي جيدٌ فما جاء في الرفع «وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ

وُجُوهُهُمْ مُّسْوَدَّةٌ»^(٢٣)،^(٢٤)

وقد فرّق الجرجاني بين المثالين الآتين معتمداً على الجانب التداولي:

• قتل الخارجي زيدٌ.

• قتل زيدٌ الخارجي.

يقول الجرجاني: "فإذا قُتِلَ وأرادَ مريدُ الإخبارِ بذلك؛ فإنه يُقدّم ذكرَ الخارجي فيقول: قَتَلَ الخارجي زيدٌ. ولا يقول: قَتَلَ زيدٌ الخارجي؛ لأنه يعلم أن ليس للناسِ في أن يعلموا أن القاتلَ له زيدٌ جدوى وفائدة؛ فيعنيهم ذكره ويهمهم، ويتصل بمسرتهم ويعلم من حالهم أن الذي هم متوقِّعون له ومتطلعون إليه متى يكون وقوعُ القتلِ بالخارجيِّ المفسدِ وأنهم قد كُفُوا شره وتخلصوا منه. ثم قالوا: فإن كان رجُلٌ ليس له بأسٌ ولا يُقدَّر فيه أنه يُقتلُ فقتلَ رجلاً وأرادَ المخبرُ أن يُخبرَ بذلك؛ فإنه يُقدّم ذكرَ القاتلِ فيقول: قتلَ زيدٌ رجلاً ذاك؛ لأنَّ الذي يعنيه ويعني الناسَ من شأنِ هذا القتلِ طرافتهُ وموضعُ النُدرة فيه وبُعدُه كان من الظن."^(٢٥)

(٢٣) سورة الزمر جزء من الآية ٦٠

(٢٤) الأصول في النحو - أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي - تحقيق : د.عبد الحسين الفتلي - مؤسسة الرسالة - ط٣ - بيروت ١٩٨٨م: ج٢/ ٥١

(٢٥) دلائل الإعجاز - أبو الفتح عثمان ابن جني - تحقيق/ محمد علي النجار - عالم الكتب - د.ط/ د.ت - بيروت:



يُلاحَظ في النص السابق أنّ الجرجاني ربط بين النظام التركيبي للجمله والموقف الذي تُستعمل فيه.

كما يرى الدكتور محمود نحلة أننا إذا التفتنا إلى تراثنا اللغوي الموزّع بين كتب النحو والبلاغة والفقّه، وأصول الفقّه، والتفسير والقراءات - يمكننا أن نعثر على بعض الومضات التي تمثل إرهاباً يدل على وعي القدماء بالجانب الاستعمالي أو التداولي للغة. ويدلّ على ذلك أن "المدخل الصحيح إلى هذه النظرية العربية للأفعال الكلامية باب من أبواب علم المعاني هو [الخبر والإنشاء]، وما ورد من مناقشات تتصل به في كتب أصول الفقّه، والفقّه والنحو واللغة." (٣٦)

(٣٦) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص ٨٨



تفاعلية العلاقات النحوية والبُعد التداولي للنص:

وقد لاحظ البحث حدوث تفاعل واضح بين العلاقات النحوية والبُعد التداولي للنص، وهو ما يؤكّد عدم انفصال الجانب التركيبي للنص عن الجانب التداولي؛ لذلك حين يقول فولفجانج هاينه: "لم يعد النص نفسه وبنائه النحوي أو الدلالي الآن نقطة الارتكاز في دراسات علم اللغة النصي؛ بل الممارسات الاتصالية العملية التي تؤسس النص؛ حيث تكون هذه بالطبع... قابلة للتوضيح فقط بواسطة سياقات مجتمعية واجتماعية شاملة. لم تعد النصوص مهمة فقط بوصفها إنتاجًا منتهيًا... مما يمكن تحليله نحويًا/ أو دلاليًا؛ بل أصبحت تُفحص بوصفها عناصر أحداث عامة، أو أدوات لتحقيق حدس معين للمتكلم من ناحية اتصالية واجتماعية."^(٢٧)

والبحث لا يتفق مع [هاينه] في رؤيته السابقة؛ لأنه يهمل الدور الجوهرى للتركيب المتمثل في العلاقات النحوية التي تُشكّل هيكل النص كما يهمل أيضاً الجانب الدلالي وفاعليته على مستوى عالم النص، وهذا لا يصح إطلاقاً - من وجهة نظر البحث - لأن النص يتكامل بجوانبه الثلاثة؛ التركيبي، والدلالي، والتداولي. ولا يمكن تسليط الضوء على أحدهما والاحتفاء به على حساب المستويين الآخرين؛ إذ إن التداولية الصحيحة هي في الأساس مستمدةً من تركيب صحيح يعبر عن دلالة محددة.

(٢٧) مدخل إلى علم اللغة النصي - فولفجانج هاينه، وديتر فيهفيجر - ترجمة د. فالح بن شبيب العجمي ص ٦١



وهناك تفاعل حيوي بين العلاقات النحوية وتداولية النص؛ إذ يُسهم البُعد التداولي للنص في تنظيم البنية التركيبية داخل النص، كما تُسهم العلاقات النحوية أيضًا في إثراء تداولية النص، وذلك من خلال ما توفّره من وسائل أمن اللبس، ومن خلال التفاعل مع الأفعال الكلامية.

العلاقات النحوية وأمن اللبس:

لا شك أن "اللغة العربية - وكل لغة أخرى في الوجود - تنظر إلى أمن اللبس باعتباره غايةً لا يمكن التفريط فيها؛ لأن اللغة الملتبسة لا تصلح واسطة للإفهام والفهم، وقد خلقت اللغات أساسًا للإفهام والفهم، وإن أعطاها النشاط الإنساني استعمالات أخرى فنية ونفسية."^(٢٨)

ويُعَدُّ وجود العلاقات النحوية بما تتضمنه من مبادئ حاکمة؛ كالحذف والذكر، والتقديم والتأخير - محورًا أساسيًا في إزالة الغموض واللبس^(٢٩) من النص؛ إذ إن العلاقات النحوية تمثل هيكل النص الذي تُصَبُّ فيه المفردات مع مراعاة مبدأ الاختيار والذي يعقبه تفاعلٌ بين ما هو ثابت وما هو متغير.

(٢٨) اللغة العربية معناها ومبناها ص ٢٣٣

(٢٩) وقد حصر الدكتور تمام حَسَّان وسائل أمن اللبس؛ إذ يقول: "ونستطيع هنا أن نعدَّ وسائل أمن اللبس التي يستخدمها النحو العربي، وذلك كما يأتي:

١- العلامة الإعرابية ٢- الرتبة ٣- الأداة ٤- البنية ٥- المعنى العام ٦- التطابق.
وتشمل العلامة الإعرابية الحركة والحرف ولكل منها مجاله في الدلالة الإعرابية" [أمن اللبس ووسائل الوصول إليه في اللغة العربية - د. تمام حسان - مجلة كلية دار العلوم - ع ١ - جامعة القاهرة ١٩٦٨ / ١٩٦٩ م: ص ١٢٧]



ولذلك منع النحاة حذف العامل مع غياب قرائن الأحوال، وقد نبّه على ذلك ابن يعيش بقوله: "منعوا حذف العامل مع غياب قرائن الأحوال، ومن ذلك: أن تقول [زيدًا] مثلًا وتريد [اضرب زيدًا]، وليس ثمة قرينة تدل عليه؛ فهذا لا يجوز لاحتمالات أن يكون المراد: اضرب زيدًا، أو أكرم زيدًا، أو اشم زيدًا، وغير ذلك مما لا يُحصى."^(٣٠)

ومن ثم فإن هُنَّكَ العلاقات النحوية داخل النص يؤدي إلى هتك التركيب وهو ما ينعكس بالسلب على تداولية النص؛ إذ يخلق الخلل التركيبي حالةً من اللبس والغموض لدى متلقي النص؛ ولذلك منع سيبويه ونحاة آخرون بعض التراكيب لما فيها من لبس محتمل، وإيهام بغير المقصود يقول سيبويه: "ولا يجوز أن تقول: بعثت ذاري ذراعًا، وأنت تريد بدرهم؛ فيرى المخاطبُ أنَّ الدار كلها ذراعٌ، ولا يجوز أن تقول: بعثت شائي شاهً شاهً، وأنت تريد بدرهم؛ فيرى المخاطبُ أنَّك بعثتها الأوَّلَ فالأوَّلَ على الولاء، ولا يجوز أن تقول: بينتُ له حسابَه بابًا؛ فيرى المخاطبُ أنك إنما جعلت له حسابًا بابًا واحدًا غير مفسَّرٍ، ولا يجوز تصدَّقتُ بمالي درهمًا؛ فيرى المخاطبُ أنك تصدَّقت بدرهم واحد وكذلك هذا وما أشبهه."^(٣١)

كما تحدث ابن هشام عن اللبس حديثًا مفصلاً في تقرير شامل عند بيانه عن الجهات التي يدخل الاعتراض على المعرب من جهتها؛ فقد جعل الجهة التاسعة منها "ألا يتأمل عند وجود المشتبهات، ولذلك أمثلة أحدها نحو زيدٌ أحصى ذهناً وعمرو أحصى

(٣٠) شرح المفصل - ابن يعيش - عالم الكتب - د.ط/ د.ت - بيروت: ج١/ ١٢٥

(٣١) الكتاب ج١/ ٢٩٣



مالاً؛ فإن الأول على أن أحصى اسم تفضيل والمنصوب تمييز مثل أحسن وجهًا والثاني على أن أحصى فعل ماض والمنصوب مفعول مثل: «وأحصى كلَّ شيء عددًا»^(٣٢)،^(٣٣)

ومراعاة نحاتنا القدامى لمبدأ أمن اللبس مع ملاحظة النظام التركيبي في ذلك - إنما يُعدُّ دلالةً واضحةً على مدى وعيهم بالجانب التداولي للمركب اللغوي جملةً كان أو نصاً. مع ملاحظة ما تقوم به القوانين الحاكمة للعلاقات النحوية من دور فعَّال داخل الجملة من أجل أمن اللبس، مثل الرتبة؛ إذ حين يوجد لبسٌ ما لا يستطيع متلقي النص من خلاله أن يميز الفاعل من المفعول؛ فإنه يتحتم الالتزام بالرتبة الأصلية لمكونات العلاقة النحوية، مثل:

ضرب عيسى موسى

فإذا وُجِدَتْ قرينة أخرى كاشفة تبينَّ الفاعل من المفعول؛ فإنه يجوز تقديم أحدهما على الآخر، وقد أوضح ذلك ابن جني؛ إذ يقول: "فإن كانت هناك دلالة أخرى من قبل المعنى وقع التصرف فيه بالتقديم والتأخير، نحو: أكل يحيى كمثرى، لك أن تقدِّم وأن تؤخر كيف شئت، وكذلك ضربت هذا هذه وكلّم هذه هذه هذا، وكذلك إن وضع الغرض

(٣٢) الجن جزء من الآية ٢٨

(٣٣) مغني اللبيب عن كتب الأعراب - جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري - تحقيق: د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله - دار الفكر - ط٦ - بيروت ١٩٨٥م: ص ٧٨١



بالتثنية أو الجمع جاز لك التصرف نحو قولك أكرم اليَحْيَانَ البُشْرِيَّينِ وضرب البشريين
اليَحْيُونَ.^(٣٤)

ومن ثَمَّ فإن العلاقات النحوية تُسهم في تداولية النص من خلال مبدأ الرتبة الحاكم
لورود طرفي العلاقة النحوية داخل النص، وفي حالة غياب هذا المبدأ؛ فإن تداولية النص
ستكون تداولية سالبة أو صفرية؛ إذ يغيب معها جميع الوسائل التي يقوم عليها النص؛
فيصبح السبك تهلاً تركيبياً، ويتحول الحبك إلى غموض دلالي لا يصل منه متلقي النص
إلى هدف أو قضية محددة؛ ففي قول لبيد:

ألا كُلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلٌ وكلُّ نعيمٍ لا محالة زائلٌ^(٣٥)

يُلاحظ أنه يحمل معنى واضحاً نابغاً من الالتزام بقواعد الصياغة التركيبية، التي من
ضمنها الرتبة، ومن ثم يستطيع متلقي النص أن يفهم من البيت المعنى الذي أراده
الشاعر. ومن ثم فتداولية البيت تداولية موجبة، ولو أن البيت السابق كُتِبَ على الصورة
الآتية:

شيءٌ ألا كل ما خلا الله باطل نعيم محالة لا وكل زائل

لتحوّلت التداولية إلى تداولية صفرية يُفْتَقَدُ معها تحصيل دلالة واضحة أو هدف
محدد؛ لذلك فالرتبة لها دورٌ جوهري في بناء تداولية النص، وخاصةً الرتبة المحفوظة^(٣٦)؛
"لأن هذه الرتبة المحفوظة لو اختلَّت لاختلَّ التركيب باختلالها."^(٣٧)

(٣٤) انظر: من البنية الحملية إلى البنية المكونية - د. أحمد المتوكّل - دار الثقافة للنشر والتوزيع - ط ١ - ١٤٠٧هـ /
١٩٨٧م: ص ٥ بتصرف

(٣٥) ديوان لبيد بن رباعة العامري - دار صادر - د. ط / د. ت - بيروت - ص ١٣٢



ويُعدُّ الحذف أيضًا من الضوابط الحاكمة لورود العلاقات النحوية داخل النص؛ إذ يستعمله منتج النص دفعًا للملل والسأم؛ ومن ثم يصبح متلقي النص مشدود الذهن إلى عالم النص. وقد تنبّه حازم القرطاجني إلى ذلك؛ إذ يقول: "إنما يحسن الحذف لقوة الدلالة عليه، أو يُقصد به تعديد أشياء؛ فيكون في تعدّادها طولٌ وسامة؛ فيحذف ويكتفى بدلالة الحال، وتترك النفس تجول في الأشياء المُكتفى بالحال عن ذكرها."^(٣٨) ومن خلال التحليل النصي لاحظ البحث أن الحذف يمكن أن يُسهّم بفاعلية في البناء الظاهري للنص؛ وذلك عبر محورين أساسيين؛ هما: المرجعية، والتكرار.^(٣٩)

المرجعية: عبارة عن وجود الدليل على المحذوف مقالياً أو مقامياً. ويتضح ذلك في قوله تعالى: "وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ زَوَّافٌ رَحِيمٌ"^(٤٠)، والتقدير: لعجل لكم العذاب؛ فمتلقي النص يستطيع أن يدرك من خلال النص القرآني أنه لولا هذا لكان

(٣٦) "ومن الرّتب المحفوظة في التركيب العربي أن يتقدّم الموصول على الصلة، والموصوف على الصفة، ويتأخّر البيان عن المبين، والمعطوف بالنسق عن المعطوف عليه، والتوكيد عن المؤكد، والبدل عن المبدل، والتمييز عن الفعل، ونحوه، وصدارة الأدوات في أساليب الشرط والاستفهام والعرض والتحضيض ونحوها. وهذه الرتبة [صدارة الأدوات] هي التي دعت النحاة إلى صوغ عبارتهم الشهيرة [لا يعمل ما بعدها فيما قبلها]. ومن الرتب المحفوظة أيضاً تقدّم حرف الجر على المجرور وحرف العطف على المعطوف، وأداة الاستثناء على المستثنى، وحرف القسم على المقسم به، واو المعية على المفعول معه، والمضاف على المضاف إليه، والفعل على الفاعل أو نائب الفاعل، وفعل الشرط على جوابه." [اللغة العربية معناها ومبناها - د. تمام حسان - دار الثقافة - د. ط - القاهرة ١٩٩٤م: ص ٢٠٧]

(٣٧) اللغة العربية معناها ومبناها ص ٢٠٧

(٣٨) معترك الأقران في إعجاز القرآن - السيوطي - تحقيق محمد علي البجاوي - دار الفكر العربي - ط ١ - القاهرة ١٩٧٣م: مج ١/ ص ٣٠٦

(٣٩) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق - د/ صبحي إبراهيم الفقي - دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع - ط ١ - القاهرة ٢٠٠٠م ج ٢/ ٢٠٨

(٤٠) النور آية ٢٠



هناك أمر آخر، ولكنه تعالى رؤوف بعباده رحيم بهم، فتاب على من تاب إليه من هذه القضية، وطهر من طهر منهم بالحد الذي أقيم عليهم(٤١).

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: "مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا"(٤٢)؛ ففي الآية الكريمة تم حذف جواب الشرط، والتقدير: إن شكرتم وآمنتُم لم يعذبكم؛ لأن معنى (ما يفعل الله بعذابكم) أي شيء يفعل الله بعذابكم(٤٣). وحذف جملة جواب الشرط يُحدث مرجعيةً بعقلية المتلقي إلى ما سبق ذكره في الآية الكريمة؛ مما يؤدي إلى إضفاء روح التماسك داخل النص؛ حيث يتعلق السابق باللاحق؛ فضلاً عن أنَّ المحذوف يُعامل من ناحية الدلالة معاملة المذكور(٤٤)، وهو ما يعود بالإيجاب على الجانب التداولي للنص.

فضلاً عن ذلك؛ فإن الحذف يمثل آليّةً من أهم آليات التعرّف على البنية الكلية للنص؛ إذ ذهب فان ديك إلى أننا "لكي نحصل على البنية الكلية لأية متوالية يجب علينا أن ننفذ عددًا من العمليات"(٤٥)، وهاته العمليات كلها تخضع للحذف؛ "أي حذف مجموعة من المعلومات الدلالية؛ تُنفذ من أجل اختزال النص إلى بنية دلالية كلية أو

(٤١) تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) - أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) - تحقيق: محمد حسين شمس الدين - دار الكتب العلمية - ط ١ - بيروت ١٤١٩هـ - ج ٣/٣٠٤.

(٤٢) النساء آية ١٤٧

(٤٣) انظر: البحر المحيط - محمد بن يوسف المشهور بأبي حيان الأندلسي - تحقيق الشيخ: عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ: علي محمد معوض، وشارك في التحقيق د. زكريا عبد المجيد النوفي، ود. أحمد النجولي الجمل - دار

الكتب العلمية - ط ١ - لبنان، بيروت ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١ - ج ٣/٣٩٧

(٤٤) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ج٢/٢٤٦

(٤٥) لسانيات النص ص ٢٨٣ نقلاً عن text and context لفان ديك p.143



اختزال المتواليات إلى بنيات جزئية منها تُستخلص البنية الكلية التي يتولد منها النص". (٤٦)

من خلال ما سبق يتبيّن أن معرفة الحذف ترجع إلى "الفارق بين مقررات النظام اللغوي، ومطالب السياق الكلامي الاستعمالي" (٤٧) ومن خلال المقارنة بين هذين الإطارين السابقين أمكن للبحث تحديد العناصر المحذوفة في نصوص الدراسة وتحديد مواقعها داخل جمل النص.

ومن العلاقات النحوية أيضًا التي تتعلق بالإسناد والتي لها دور واضح وفَعَّال في تداولية النص - علاقة الإضافة؛ إذ يتم من خلالها إزالة الإبهام في حالة الظروف الملازمة للإضافة، مثل: [إذ - إذا - حيث] ومثلها أيضًا الأسماء الملازمة للإضافة نحو: [غيرك - مثلك - حسبك...].

(٤٦) السابق ص ٢٨٣ نقلًا عن text and context لفان ديك p.143

وهي ثلاث عمليات كالآتي:

- ١- حذف المعلومات العرضية: وتتم هاته العملية دون أن يتغير المعنى، والمعلومات المحذوفة هنا غير قابلة للاسترجاع.
- ٢- حذف معلومات مكونة [أساسية]: أي إن هذه المعلومات تكون مكونة لمفهوم أو إطار ما، ومن ثم فالمعلومات المحذوفة تحدد أسباب ونتائج الأحداث العادية أو المتوقعة، وتتم هذه العملية تحت شرط يتمثل في أن المعلومات المحذوفة تكون قابلةً للاسترجاع استقرائيًا.
- ٣- التعميم البسيط: وتتعلق هذه العملية بحذف المعلومات الأساسية، وهي حسب المثال الذي ضربه [ديك]: انتقال من الخاص إلى العام مثل:

[القط - الفأر - الأسد...الخ] [الحيوان]

وتكون المعلومات المحذوفة هنا غير قابلة للاسترجاع. مع ضرورة التنبيه إلى القيد العام المشترك في هذه العمليات الثلاث، ويتمثل في عدم حذف قضية سابقة تقتضيها قضية لاحقة.

(٤٧) اللغة العربية معناها ومبناها ص ٢٩٨



وقد تنبّه نحاتنا إلى الإبهام الواقع في الظروف السابقة؛ إذ يقول ابن يعيش عن [إذ]:
 "فأماً [إذ] فإنها تقع على الأزمنة الماضية كلها مبهمة فيها لا اختصاص لها ببعضها دون
 بعض؛ فاحتاجت لذلك إلى ما يوضحها، ويكشف عن معناها، وإيضاحها يكون بجملة
 بعدها؛ فصارت بمنزلة بعض الاسم، وضارعت الذي والأسماء الناقصة المحتاجة إلى
 الصلات."^(٤٨)

وكذلك أيضاً [حيث] وهو ظرف المكان الوحيد الذي اختص بالإضافة إلى جملة؛ كي
 تتمّه وتزيل عنه إبهامه؛ ونظراً لافتقار [حيث] "إلى جملة بعدها أشبهت الذي ونحوها
 من الموصولات في إبهامها في نفسها وافتقارها إلى جملة بعدها توضحها"^(٤٩). مع ضرورة
 ملاحظة أن الإضافة إلى الظروف السابقة لا ترفع عنها الإبهام بالكلية؛ نظراً لإغراقها في
 هذا الإبهام؛ لكن ما يحدث هو نوعٌ من التخصيص، وهو إحدى درجات التعريف لتلك
 الظروف بنوعها المتمكنة وغير المتمكنة. ويلاحظ مثل ذلك أيضاً في الأسماء الملازمة
 للإضافة مثل: [غير - سوى - مثل - حسبك...] فهي أيضاً مغرقة في الإبهام، ولا تتعرف
 بأيّ حال من الأحوال عند بعض النحاة مثل الفارسي؛ إذ يقول: "وفي الأسماء أسماءٌ قد
 أُضيفت إلى المعارف، ولم تتعرف بذلك للإبهام الذي فيها، وأنها لا تخصّ شيئاً بعينه؛ فمن
 ذلك: غير، ومثل، وسوى. تقول: مررتُ برجل غيرك، وبغلامٍ مثلك؛ فتصف بها النكرة."^(٥٠)

(٤٨) شرح المفصل - ابن يعيش - مكتبة المتنبّي - د.ت/ د.ط - القاهرة: ج ٤ / ٩٥

(٤٩) السابق ج ٤ / ٩١

(٥٠) الإيضاح العسدي - أبو علي الفارسي - تحقيق حسن شاذلي فرهود - دار التأليف - ط ١ - القاهرة ١٩٦٩م: ج

٢٦٨ / ١



إلا أن هناك بعض النحاة ومنهم ابن يعيش رأوا إمكانية تعريف هاته الأسماء المغرقة في الإضافة؛ وذلك "إذا شهِرَ المضاف بمغايرة المضاف إليه أو بمماثلته"^(٥١) ومن ذلك قوله تعالى: «إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ»^(٥٢) فهنا الغيرية محصورة بين الذين أنعم الله عليهم [المؤمنون]، والمغضوب عليهم [اليهود].

وبناءً على ذلك؛ فقد لاحظ البحث أن الجانب التركيبي للنص، والذي يقوم على تفاعلات العلاقات النحوية - يؤثر بالسلب أو الإيجاب أو الصفرية على تداولية النص؛ إذ إن العلاقات النحوية قد تولد تداولية سالبة معاكسة لمقصد منتج النص، وقد تولد تداولية موجبة كما في المثال الآتي:

لو أن سائلاً سألك: هل شفي أبوك؟ وقلت:

أ. لا شفاه الله. ← **تداولية سالبة**

ب. لا وشفاه الله. ← **تداولية موجبة**

فيلاحظ في المثال [أ] حين غابت [الواو] من التركيب أدى ذلك إلى تغير سلبي في قصدية منتج النص [المتكلم]؛ مما أدى إلى تولد تداولية سالبة؛ إذ إن المتلقي [المخاطب] قد يفهم أنه يدعو على أبيه بعدم الشفاء، وهذا ما لا يقصده المتكلم.

(٥١) شرح المفصل جـ ٢/ ١٢٦

(٥٢) الفاتحة آية ٦ - ٧



أما في المثال [ب] حين وُضعت [الواو] فَصَلَّتْ بين المعنيين؛ معنى الإجابة عن السؤال بالنفي، ومعنى الدعاء له بالشفاء، ومن ثمَّ ترتب على ذلك تولُّد تداولية موجبة موافقة لمقصد [المتكلم] منتج النص.

وقد التفتَ [بول ريكور] إلى أهمية العلاقات النحوية في تشكيل البُعد التداولي للنص؛ إذ يقول: "وبهذا تُقدِّم الجملة كمنطوق قابل بهذا المعنى أو ذاك؛ للإرسال إلى آخرين. وما يُعيَّن بهذا الشكل هو البنية الإسنادية نفسها كما يوضح المثال السابق - أغلقوا الباب. هكذا تُحدِّد الجملة الفعلية بمسندها الخاص [فعل ما]، وبحجَّتِها [الفاعل والمفعول]".^(٥٣)

البُعد التداولي، وتنظيم بنية النص:

لا شك أن البُعد التداولي للنص يتحقق بصورة عامة في حالة قيام البناء اللغوي للنص بإحداث حالة دينامية من التفاعل القائم بين البنية اللغوية للنص، وما يؤديه من وظيفة اتصالية بين منتج النص ومتلقيه.^(٥٤)

وبناءً على ذلك فإن تحقُّق البعد التداولي يؤدي إلى تنظيم البنية التركيبية لسطح النص بصور وأنماط تركيبية متعددة؛ وهو ما لا يمكن معه التكهنُّ بصورة تركيبية واحدة

(٥٣) من النص إلى الفعل [أبحاث التأويل] - بول ريكور - ترجمة: محمد براءة وحسان بورقية - عين للدراسات والبحوث الإنسانية - ط ١ - ٢٠٠١م: ص ٨٢
(٥٤) انظر: من البنية الحملية إلى البنية المكونية - د/ أحمد المتوكل - دار الثقافة لنشر والتوزيع - ط ١ - ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م: ص ٥ بتصرف



يأتي عليها سطح النص؛ إذ تتقدم أحياناً المكونات التركيبية ذات الحجم أو الامتداد الأقل على المكونات الأطول من حيث الامتداد التركيبي، وقد يحدث العكس كما سيبيء بيانه.

وجديرٌ بالذكر أنّ نحائنا القدامى لم يلتفتوا إلى فاعلية البُعد التداولي في تنظيم البنية التركيبية للجملة، إذ فسّروا ما يعرض لبنية الجملة من حذف وتقديم وتأخير... إلخ معتمدين فقط على بعض القواعد التي أسماها الدكتور تمام حسّان بـ [قواعد التوجيه] ويُقصد بها "تلك الضوابط المنهجية التي وضعها النحاة؛ ليلتزموا بها عند النظر في المادة اللغوية [سماعاً كانت أم استصحاباً أم قياساً] التي تُستعمل لاستنباط الحكم."^(٥٥)

ومن ضمن قواعد التوجيه التي استعملها النحاة لاستنباط الأحكام، ما ذكره ابن يعيش من أن "المفرد أخف من المركب"^(٥٦) وظلّ النحاة بعد ذلك يغلزون على هذه القاعدة غافلين تماماً عن أثر البعد التداولي أو ما يُسمى بمقتضيات السياق في الجملة. ومن ثم تجد ابن عصفور يذكر أنه إذا اجتمعت "صفة مع صفة هي في تقدير اسم قدمت ما هو اسم على ما هو في تقديره، وذلك نحو قولك: مررت برجل قائم في الدار، إذا جعلت المجرور في موضع الصفة لـ [رجل] ولا يجوز أن تقول: مررتُ برجل في الدار قائم إلا في ضرورة شعر أو في نادر كلام."^(٥٧)

(٥٥) الأصول - د. تمام حسّان - عالم الكتب - د. ط - القاهرة ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م: ص ١٨٩ - ١٩٠

(٥٦) شرح المفصل ج ١ / ٥٧

(٥٧) شرح جمل الزجاجة - ابن عصفور ج ١ / ٢٧ - ٢٨



وما سبق لا يتعارض مع وجود بعض الإرهاصات التي تدل على وعي النحاة بمقتضيات السياق؛ إذ يُفهم ذلك من كلامهم وإن لم يصرحوا بذلك. ويدخل في إطار ذلك قول ابن مالك: "إذا نُعتَ بمفرد وظرف وجملة قُدِّم المفرد وأُخرت الجملة غالبًا."^(٥٨)

وقول ابن مالك [غالبًا] إنما يدلُّ على مخالفة الاستعمال لمثل هذه القاعدة التي وضعها النحاة، مثل قوله تعالى: «وهذا كتاب أنزلناه مبارك»^(٥٩)؛ إذ يُلاحظ في الآية السابقة تقدُّم المركب الأطول [أنزلناه] على كلمة [مبارك]، وكلاهما يؤدي وظيفة الصفة. ويزداد الأمر وضوحًا إذا وُضعت الآية السابقة في مقابل آيةٍ أخرى من سورة الأنبياء، وهي قوله تعالى: «وهذا ذكر مبارك أنزلناه»^(٦٠) فيُلاحظ في الآية السابقة تقدُّم العنصر المفرد [مبارك] على العنصر المركب [أنزلناه].

ومجيء مثل هاته الأَمْطَاتِ التركيبية في القرآن الكريم؛ هو ما جعل أبا حيان يقرِّر زيف و"بطلان قول مَنْ ذهب إلى أن الوصف إذا كان بالاسم وبالفعل لا يتقدم الوصف بالفعل على الوصف بالاسم."^(٦١) وذلك في صدر تفسيره لقوله تعالى: «فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ»^(٦٢) إذ لاحظ تقدُّم العنصر المركب [يحبهم] ثم عطف عليه جملة [يحبونه]، ثم جيء في نهاية الأمر بالعنصر المفرد [أعزة]، وهو يؤدي أيضًا وظيفة الصفة.

(٥٨) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد - ابن مالك - تحقيق محمد كامل بركات - دار الكتاب العربي للطباعة والنشر - د.ط - القاهرة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م ص ١٦٩

(٥٩) الأنعام جزء من الآية ٩٢

(٦٠) الأنبياء جزء من الآية ٥٠

(٦١) تفسير البحر المحيط ج٣ / ٤١٠

(٦٢) المائدة جزء من الآية ٥٤



وكلُّ ذلك يُؤكِّد أن البُعد التداولي [مقتضيات السياق]، هو الذي يؤدي إلى تنظيم البنية التركيبية لسطح النص؛ إذ ليست هناك قاعدة ثابتة تتحكم في الصورة التركيبية التي ينبغي أن يأتي عليها سطح النص دائماً، وهو ما يؤكِّد بطلان ما أُنْفِق عليه في الدرسين التراثي والمعاصر حول أولوية "البدء بالمكونات النحوية ذات الحجم الأقل، ثم تأتي بعدها المكونات النحوية الأقل، ثم تأتي بعدها المكونات النحوية الأكبر حجماً"^(٦٣) إذ أثبت الواقع الاستعمالي عكس ذلك.

ولذلك يُؤخَذ - من وجهة نظر البحث - على أصحاب الاتجاه الوظيفي أنهم لم يلتفتوا إلى أهمية البُعد التداولي [مقتضيات السياق] في تنظيم وحدات الجملة؛ إذ ذهب [سيمون ديك] إلى أن العامل الحاسم في تنظيم وحدات الجملة إنما هو البساطة والتعقيد المقولي؛ فالوحدات الكلامية البسيطة، مثل: الضمائر والمركبات الاسمية تنزع إلى التقدم على الوحدات الكلامية المعقدة أو الممتدة من الناحية التركيبية^(٦٤). والاستعمال أثبت خلاف ذلك كما مرَّ في الأمثلة القرآنية السابقة.

وفضلاً عن تنظيم البُعد التداولي للبنية التركيبية لسطح النص؛ فإنه يسهم أيضاً بفاعلية في تحديد البنية الدلالية المشكَّلة لباطن النص، وذلك من خلال ما يؤدِّيه

(٦٣) امتداد المكون النحوي وتأثيره في تحديد الموقع - د. طه محمد عوض الله الجندي - مجلة كلية دار العلوم - جامعة القاهرة ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م: ص ٩١
(٦٤) انظر: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي - د. أحمد المتوكل - بدون دار نشر - د. ط - الرباط ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م: ص ٧٧ وما بعدها.



السياق^(٦٥) من دور فعّال في تحديد الدلالة؛ إذ إن السياق له أهمية خاصة في الجانب التداولي للنص؛ حتى إن هاليداي رأى أنّ السياق يمثل "النص الآخر أو النص المصاحب للنص الظاهر"^(٦٦) والرؤية السابقة لهاليداي إنما تدلّ على تلاحم السياق بالنص؛ إذ إنه يمثل "البيئة اللغوية بأسرها وهو بمثابة الجسر الذي يربط التمثيل اللغوي ببيئته الخارجية"^(٦٧).

ومن ثمّ فالسياق في الدرس التداولي يكون "بمثابة العنصر الفاعل في توضيح الكلام؛ بل في صحته والوصول به إلى درجة القبول في معناه ومبناه"^(٦٨)، وربما كانت ملاحظة هاته العلاقة الوطيدة بين السياق والتداولية^(٦٩) بصورة عامة هي ما دفعت البعض إلى تعريف التداولية "بأنها دراسة لهيمنة المقام على معنى العبارة"^(٧٠).

(٦٥) كما عرّف جاكبسون السياق بأنه "الطاقة المرجعية التي يجري القول من فوقها؛ فتمثل خلفية للرسالة تمكّن المتلقي من تفسير المقولة وفهمها" النص والخطاب [قراءة في علوم القرآن] - د. محمد عبد الباسط عيد - مكتبة الآداب - ط ١ - القاهرة ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م: ص ٨٣

(٦٦) علم النص ونظرية الترجمة - د. يوسف نور الدين - دار الثقافة للنشر والتوزيع - ط ١ - مكة المكرمة ١٤١٠هـ: ص ٣٣

(٦٧) السابق ص ٣٣ - ٣٤

(٦٨) التفكير اللغوي بين الجديد والقديم - د. كمال بشر - دار غريب - ط ١ - القاهرة ٢٠٠٥م: ص ٣٦٧ - ٣٦٨. (٦٩) وقد تجلّت هاته العلاقة الوطيدة بين السياق والتداولية لدى فان ديك في أثناء تصنيفه لأنواع السياق؛ إذ صنّفه خمسة أصناف؛ هي: [السياق التداولي - السياق الإدراكي أو المعرفي - السياق النفسي - السياق الاجتماعي - السياق الثقافي] وفي السياق التداولي لا يتم الاكتفاء فقط بدراسة النصوص؛ من حيث البنية التركيبية، وإنما يمتد ذلك إلى وظائفها؛ أي إن دراسة النص لا تكون فقط لمعرفة شكله ومحتواه، وإنما لمعرفة الوظائف التي ينجزها النص أيضًا. [انظر: النص بنيته ووظائفه {مدخل أولي إلى علم النص، من نظرية الأدب في القرن العشرين} - فان ديك - ترجمة د. محمد العمري - إفريقيا الشرق - الدار البيضاء - د. ط - ١٩٩٧م: ص ٦٥، وما بعدها]

(٧٠) القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان - أوزولدزا ديكر، وجان ماري شمايفر - ترجمة منذر عياشي - المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء - ط ٢ - المغرب ٢٠٠٧م: ص ٦٧٧



والتعريف السابق للتداولية إنما يؤكّد على أهمية البعد التداولي [مقتضيات السياق] في البناء الدلالي للنص^(٧١)؛ فالسياق اللغوي - على سبيل المثال - يوضّح كثيراً من العلاقات الدلالية عندما يُستخدم مقياساً لبيان الترادف والاشتراك أو العموم أو الخصوص أو الفروق ونحو ذلك.^(٧٢)

كما أنّ للسياق دوراً فعّالاً في تحديد المعنى داخل النص، ويتضح ذلك من خلال ملاحظة كلمة [الكتاب] في الأمثلة الآتية:

١- الكتاب من أقدم كتب النحو.

٢- «ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ»^(٧٣)

٣- «إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا»^(٧٤)

ففي المثال الأول دلّت كلمة [كتاب] على مؤلّف لسيبويه، وفي الثاني دلّت على القرآن الكريم، وفي الثالث دلّت على فريضة الصلاة.

(٧١) ولعل هاته التلازمة بين السياق والنص هي التي دفعت هاليداي ورقية حسن إلى عنونة مؤلفهما بـ [اللغة، والسياق، والنص] الذي أكّد فيه أنّ الفكرة الأساسية للكتاب تهدف إلى الكشف عن العلاقة الوطيدة بين السياق والنص؛ إذ إنّ كلاً "من السياق والنص يمكن تفسيره بالرجوع إلى الآخر" [الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض "بحث في المنهج شكلي" - يوسف أوغليسي - إصدارات رابطة الإبداع الثقافية - د.ط - الجزائر ٢٠٠٠م: ص ٣٣] (٧٢) انظر: مبادئ اللسانيات - د. أحمد قدور - دار الفكر المعاصر - ط ١ - بيروت، لبنان ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م: ص ٢٩٥

(٧٣) البقرة جزء من الآية ٢

(٧٤) النساء جزء من الآية ١٠٣



ومثل ذلك أيضاً الفعل [يأكل] في الآيات القرآنية الآتية:

١. «وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ»^(٧٥)

٢. «وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذُّبُّ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ»^(٧٦)

٣. «أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ»^(٧٧)

يُلاحظ تعدد دلالة الفعل [يأكل] في الآيات القرآنية السابقة؛ فهو في الآية الأولى بمعنى التغذية للإنسان، وفي الثانية بمعنى الافتراس للحيوان، وفي الثالثة بمعنى الغيبة للإنسان. وتتجلى كل دلالة من الدلالات السابقة للفعل [يأكل] من خلال تفاعل السياق اللغوي مع السياق غير اللغوي المشتمل على الموقف وقت وقوع الحدث.

لذلك يرى الدكتور تمام حسّان أن "الوصول إلى المعنى - الدلالي - يتطلب فوق كلِّ ما تقدّم ملاحظة العنصر الاجتماعي الذي هو المقام، وهذا العنصر الاجتماعي ضروري جداً؛ لفهم المعنى الدلالي؛ فالذي يقول لفرسه عندما يراها [أهلاً بالجميلة] يختلف المقام معه عن الذي يقول هذه العبارة لزوجته؛ فمقام توجيه هذه العبارة للفرس هو مقام الترويض، وربما صحب ذلك ربّ على كتفها أو مسح على جبينها. أمّا بالنسبة للزوجة؛ فالمعنى يختلف بحسب المقام الاجتماعي أيضاً؛ فقد تُقال هذه العبارة في مقام الغزل أو

(٧٥) الفرقان جزء من الآية ٧

(٧٦) يوسف جزء من الآية ١٣

(٧٧) الحجرات جزء من الآية ١٢



في مقام التوبيخ أو التعبير بالدمامة؛ فالوقوف عند المعنى المعجمي لكلمتي [أهلاً] و[الجميلة] وعلى المعنى الوظيفي لها وللبناء الرابطة بينهما لا يصل إلى المعنى الدلالي، ولا يكون وصولنا إلى هذا المعنى الدلالي إلا بالكشف عن المقام الذي قيل فيه النص.^(٧٨)

ويحسُن التنبيه إلى أن السياق لا يقتصر فقط على تحديد دلالة الكلمة داخل النص، وإنما يمتدُّ إلى تحديد دلالة جملة ما مثل قولك:

لذلك "لا ينبغي أن ندَّعي الوصول إلى فهمنا للمعنى الدلالي بمجرد النظر إلى معنى المقال دون اعتبار المقام. وهل يمكن بالمقال فقط أن نفهم المعنى المقصود من عبارة [زيارة الأصدقاء تُسعد النفس]؟ إننا لا نعرف من هذه العبارة ما إذا كان الأصدقاء زائرين أم مزورين ولا أن نعرف بدون المقام ما إذا كان النعت في [دار الكتب المصرية] نعتاً للدار أو للكتب، ... هذه العبارات الملبسة تصبح غير ملبسة إذا راعينا [المقام] الذي قيلت فيه العبارة."^(٧٩)

كما أنَّ للسياق أهمية خاصة في الحكم على مدى ملاءمة الكلمة للكلمات المجاورة لها، وهو ما يؤدي إلى إضفاء مَسحة من الجمال والمناسبة عليها؛ "ومما يشهدُ لذلك أنك ترى الكلمة تروقُّك وتؤنسك في موضعٍ ثم تَرَاهَا بعينها تثقلُ عليك وتوحشك في موضعٍ آخر كلفظٍ الأُخدع في بيت الحماسة - من الطويل:

[تَلَقَّتْ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَدْتَنِي وَجِعْتُ مِنَ الْإِضْغَاءِ لَيْتَا وَأَخْدَعَا]

(٧٨) اللغة العربية معناها ومبناها ص ٣٤٢

(٧٩) الأصول [دراسة إستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، النحو - فقه اللغة - البلاغة] ص ٣٠٤



وبيت البحري - الطويل:

[وإي وإن بَلَّغْتَنِي شَرَفَ الْغِنَى وَأَعْتَفْتِ مِنْ رِقِّ الْمَطَامِعِ أَخْذَعِي]

فإن لها في هذين المكانين ما لا يخفى من الحُسن. ثم إنك تتأملها في بيت أبي تمام - من المنسرح:

[يا دَهْرُ قَوْمٍ مِنْ أَخْذَعَيْكَ فَقَدْ أَضْجَجْتَ هَذَا الْأَنَامَ مِنْ حُرْقُوكِ]

فوجد لها من الثقل على النفس، ومن التَّغْيِصِ والتكدير أضعاف ما وجدت هناك من الروح والخفة والإيناس والبهجة.^(٨٠)

فضلاً عن ذلك؛ فمعرفة السياق الذي تُستخدَم فيه اللغة يوضِّح المعنى الوظيفي للغة، ويفرض عليها قيمة حضورية معينة^(٨١) تسهم في تحديد الإشارات deixis داخل النص؛ إذ هناك بعض الجمل والتراكيب التي لا يمكن فهم دلالتها إلا بردها إلى سياقها اللغوي وغير اللغوي، مثل:

سوف يصلهم غداً؛ لأنه ليس هنا الآن

(٨٠) دلائل الإعجاز - أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني - تحقيق: د. محمد التنجي - دار الكتاب العربي - ط ١ - بيروت ١٩٩٥م ص ٥٤

(٨١) انظر: علم اللغة بين التراث والمعاصرة - عاطف مدكور - دار الثقافة - د. ط - القاهرة ١٩٨٧م: ص ٢٣٧



فالجملة السابقة شديدة الغموض؛ لاحتوائها على عدد كبير من العناصر الإشارية التي يعتمد تفسيرها اعتماداً تاماً على السياق الذي قيلت فيه وهو السياق الخارجي للجملة [غير اللغوي] كما تعتمد أيضاً على السياق اللغوي الذي بإمكانه أن يربط العناصر الإشارية [واو الجماعة - ضمير الغائبين هم - اسم الإشارة هذا - ظرفا الزمان غداً، والآن - وظرف المكان هنا] بالمرجع reference الخاص بها؛ فلا يتضح معنى الجملة إلا بمعرفة ما تشير إليه هذه العناصر. وهذا ما دعا [لفنسون] إلى عدّ "التعبيرات الإشارية تذكيراً دائماً للباحثين النظريين في علم اللغة بأن اللغات الطبيعية وضعت أساساً للتواصل المباشر بين الناس وجهًا لوجه."^(٨٢)

وقد التفت سيوييه إلى أهمية السياق في تحديد بنية الجملة داخل النص، ويوضح ذلك المثال الذي ذكره؛ يقول: "إذا رأيت رجلاً متوجّهاً وجهه الحاج قاصداً في هيئة الحاج؛ فقلت مَكَّةَ وَرَبَّ الكعبة؛ حيث زكنت أنه يريد مَكَّةَ كأنك قلت يريد مَكَّةَ والله، ويجوز أن تقول: مَكَّةَ والله على قولك أرادَ مكةَ والله كأنك أخبرت بهذه الصفة عنه أنه كان فيها أمس؛ فقلت مكةَ والله أي: أراد مكة؛ إذ ذاك ومن ذلك قوله عز وجل: «بَلْ مَلَأَ إِبْرَاهِيمَ حَنِينًا»^(٨٣)! أي: بل نتبع ملة إبراهيم حنيفاً كأنه قيل لهم: اتبعوا حين قيل لهم كُونُوا هُودًا أو نصارى، أو رأيت رجلاً يسدُّ سَهْمًا قَبْلَ القِرطاسِ؛ فقلت: القِرطاسَ والله أي: يُصِيبُ القِرطاسَ، وإذا سمعتَ وَفَّعَ السَّهْمَ في القِرطاسِ، قلت: القِرطاسَ والله أي أصاب

(٨٢) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص ١٧

(٨٣) البقرة جزء من الآية ١٣٥



القرطاس، ولو رأيت ناسًا يَنْظرون الهلالَ، وأنت منهم بَعِيدٌ؛ فَكَبَّرُوا لَقَلَّتِ الهلالَ وربَّ
الكعبةِ أَى أَبْصَرُوا الهلالَ." (٨٤)

والنص السابق لسيبويه إنما يؤكد على وعي علماء العربية القدامى بأهمية البُعد
التداولي [السياق] في تحديد بعض المكونات المحذوفة من النص؛ لوجود بعض القرائن
المقامية الدالة عليها. وقد نَبَّه الزركشي إلى ذلك صراحةً؛ إذ يرى أن دلالة السياق:
"ترشد الى تبيين المجمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد
المطلق، وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم؛ فمن أهمله غلط
في نظيره، وغالط في مناظراته. وانظر إلى قوله تعالى: «ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ» (٨٥)
كيف تجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير." (٨٦)

ونظرًا لشعور علماء العربية القدامى بأهمية السياق في توضيح النص؛ فإنهم قاموا
بتقييد وتسجيل سياقات بعض النصوص وخاصةً النصوص الدينية؛ كما في أسباب النزول
الخاصة ببعض السور القرآنية، مع ملاحظة أن "هذه الأسباب كما يمكن الوصول إليها من
خارج النص يمكن الوصول إليها من داخل النص سواءً في بنيته الخاصة أو في علاقته
بالأجزاء الأخرى من النص العام." (٨٧)

(٨٤) الكتاب جـ ١ / ٢٥٧

(٨٥) الدخان آية ٤٩

(٨٦) البرهان في علوم القرآن - محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله - تحقيق/ محمد أبو الفضل
إبراهيم - دار المعرفة - ط. د. بيروت، ١٣٩١هـ: ج٢ / ٢٠٠ - ٢٠١

(٨٧) مفهوم النص دراسة في علوم القرآن - د. نصر أبو زيد - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ط ١ - القاهرة
١٩٩٠م: ص ١٢٦



ومن ثم؛ فالسياق يُعدُّ جزءًا أصيلاً من التداولية؛ فما التداولية إلا استعمال الكلمات أو العلاقات ضمن سياق محدد، وهو ما دفع ماكس بلاك "إلى إعادة تسمية التداولية بالنظرية السياقية"^(٨٨) وهو ما يؤكِّد أهمية السياق في عملية البناء التداولي للنص؛ "لأن النص غالبًا ما ينبني على جملة من المصاحبات الأدبية؛ تلفتُ نظر المتلقي إلى بيئة أدبية ثقافية اجتماعية معينة، لا يمكن فهم النص الأدبي خارجها أو بعيدًا عنها"^(٨٩)

ورغم كلِّ ما سبق من أدوار فاعلة للسياق في الجانب التداولي للنص - فإن الدكتور محمد عبد الباسط عيد يرى أنَّ هناك خطرًا يجب أن ننتبه إليه؛ لأن السياق "قد يصبح مع بعض النصوص، وخاصةً الأدبية منها - طاقةً سالبةً، تبتلع النصَّ عبر استحواذها على شفرته وسجنها في مطاوي تقاليده؛ فالسياق أكبر من النص، وأسبق منه في الوجود، وأمكن منه في النفوس. وفي أقلِّ أحواله خطورةً قد يجعل النص محاكاة باهتةً لواقع تاريخي محدّد به يتجمّد النص وتتوقف دلالاته."^(٩٠)

والبحث يتفقُ مع بعض ما جاء في النص السابق، ويخالفه في البعض الآخر؛ إذ يتفق البحث معه حول أسبقية السياق للنص بصورة عامة؛ لأنه هو الممهّد لخلق النص، وأن السياق من الممكن أن يقيّد النص. غير أن البحث - في الوقت نفسه - لا يتفق معه حول إمكانية ابتلاع السياق للنص، واستحواذه على شفرته؛ لأن هذا وإن افترض أنه موجود فإن

(٨٨) المقاربة التداولية - فرانسواز أرمينكو - ترجمة/ سعيد علوش - مركز الانتماء القومي - د.ط./ د.ت: ص ١١

(٨٩) تحليل النص الشعري [بنية القصيدة] - يوري لوتمان - ترجمة د/ محمد فتوح أحمد - دار المعارف - د.ط./

د.ت - القاهرة: ص ١٥٦

(٩٠) النص والخطاب [قراءة في علوم القرآن] ص ٨٤



ما يمثله مجموعة نصوص قليلة، أمّا الغالبية العظمى من النصوص فيلاحظ فيها أن السياق اللغوي يساعد على معرفة السياق الخارجي للنص، ويكشف قدرًا كبيرًا منه لمتلقي النص. وهو ما يُبرهن على فاعلية العلاقات النحوية في البعد التداولي للنص؛ إذ هي "جزءٌ أساسي من حيوية اللغة وقدرتها على أداء كثير من وظائفها."^(٩١)

ومن ثمّ فالعلاقات النحوية خاصة والنحو عامة يسهمان بدور واضح في تداولية النص، وليس الأمر كما رأى الأستاذ أحمد الشايب أن النحو "مهمته تنتهي ما دام قد حقّق لنا صحة العبارة في ذاتها بصرف النظر عن صلتها بالقراء أو السامعين"^(٩٢) إذ يرى البحث أن النحو من خلال العلاقات النحوية يسهم بفاعلية في خلق البعد التداولي الصحيح للنص؛ فمجرد الخلل في النظام التركيبي النحوي يؤدي إلى خلل في الجانب التداولي، وهو ما ينعكس بالسلب على عملية فهم النص، ومن ثمّ كان سيئويه على حقّ عندما "نبّه في كلامه على مقاصد العرب وأنحاء تصرفاتها في ألفاظها ومعانيها، ولم يقتصر فيه على بيان أنّ الفاعل مرفوع والمفعول منصوب ونحو ذلك؛ بل هو يبين في كلّ باب ما يليق به حتى إنه احتوى على علم المعاني والبيان ووجوه تصرفات الألفاظ والمعاني."^(٩٣)



(٩١) دراسة الأدب العربي - د. مصطفى ناصف - الدار القومية للطباعة والنشر - د.ط/ د.ت - القاهرة : ص ٢١٤، وانظر أيضًا: النحو والدلالة ص ٢٣٤
 (٩٢) الأسلوب [دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية] - أحمد الشايب - دار النهضة المصرية - ط ٦ - القاهرة ١٩٦٦م: ص ٢٦، وانظر: النحو والدلالة ص ٢٩
 (٩٣) الموافقات في أصول الفقه - الشاطبي: إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي - تحقيق: عبد الله دراز - دار المعرفة - د.ط/ د.ت - بيروت: ج ٤ / ١١٦



المبحث الثاني

القصدية والتقبلية

يُلاحَظ في الدراسات النصية أنَّ القصدية والتقبلية تشكلان معيارين من المعايير السبعة التي يتنصَّص بها النص^(٩٤) وقد أدرج البحث المعيارين ضمن الآليات المشكَّلة لتداولية النص؛ لأنَّ التداوليات الحديثة أولتَّ عنايةً كبيرةً لعنصري المتكلم والمخاطب؛ انطلاقاً من الاعتقاد بأنَّ الخطاب/النص يتوجَّه [من و إلى] أحد الطرفين، وكذا بالنظر إلى طبيعة التفاعل اللساني وغير اللساني الذي يوجَّه الكلام ويُحدِّد مساره إلى درجة ذهب معها [ليتش] إلى أنه لا يمكن أن ندعي فهمنا للكلام من دون استحضار شروط إنتاجه المحيطة به خاصةً عنصر المتكلم والسامع اللذين اعتبرهما ركنين لا غنى عنهما ومظهرين مهمين في الحالات التكلمية.^(٩٥)

(٩٤) يرى روبرت آلان دي بيوجراند أن نصية النص تتحقق بتحقيق سبعة معايير تكفل للنص صحة كونه نصاً، وهذه المعايير هي:

السبك Cohesion : ويشتمل على الإجراءات المستعملة في توفير الترابط بين عناصر ظاهر النص... الخ
الحبك Coherence : ويشتمل على الإجراءات المستعملة في إثارة عناصر المعرفة، من مفاهيم وعلاقات، منها علاقات منطقية كالسببية، ومنها معرفة كيفية تنظيم الحوادث، ومنها أيضاً محاولة توفير الاستمرارية في الخبرة البشرية.
القصدية Intentionality : أي قصدية المنتج توفير التضام، والتقارن في النص وأن يكون أداة لخطة موجهة لهدف .
التقبلية Acceptability : أي تقبلية المستقبل للنص باعتباره متضاماً متقارناً ذا نفع للمستقبل، وذا صلة به .
الموقفية Situationality : وهي تشتمل على العوامل التي تجعل النص ذا صلة بموقف حالي، أو بموقف قابل للاسترجاع.

الإعلامية Informativity : وهي تشتمل على عامل الجودة [اللايقين النسبي لوقائع النص بالمقارنة مع الوقائع الأخرى المحتملة الحدوث].

التناسق Intertextuality : ويتضمن العلاقات بين نصِّ ما، ونصوص أخرى ذات صلة، تمَّ التعرف إليها في خبرات سابقة.
انظر: مدخل إلى علم لغة النص [تطبيقات لنظرية روبرت ديوجراند وولفجانج دريسلر] - ص ٢٥ - ٣٧ بتصرف.

(٩٥) انظر: البُعد التداولي عند سيوييه ص ٢٦١ بتصرف



القصدية:

القصد Intentionality - على حد تعبير دي بوجراند - "يتضمن موقف منشئ النص من كون صورة ما من صور اللغة قُصدَ بها أن تكون نصًا يتمتع بالسبب والالتحام، وأنَّ مثل هذا النص وسيلة Instrument من وسائل متابعة خطة معينة للوصول إلى غاية بعينها"^(٩٦)

يتضح من الكلام السابق لدي بوجراند أن القصدية لا تتحقق إلا بتحقيق السبب والحبك [الالتحام]، وهما لا يتحققان إلا بتحقيق العلاقات النحوية بشكل صحيح متوافق مع المبادئ الحاكمة لورودها داخل النص؛ كالتقديم والتأخير، والحذف، والفصل.

والتعريف السابق للقصدية لا يبتعد كثيرًا عمَّا هو موجود لدى علماء العربية القدامى؛ إذ يرى عبد القاهر الجرجاني أن "معنى القصد إلى معاني الكلم أن تُعلم السامع بها شيئًا لا يعلمه."^(٩٧)

ولن يقف البحث طويلاً إزاء الجوانب النظرية الخاصة بالقصدية؛ إذ هناك بحثٌ تمَّ تحت إشراف أستاذنا الدكتور محمد حماسة^(٩٨)، وقد استوفى جميع الجوانب النظرية الخاصة بالقصد كأحد معايير النصية. لذلك سيحاول البحث التركيز على دور العلاقات النحوية في تشكيل قصدية منتج النص.

(٩٦) النص والخطاب والإجراء - روبرت دي بوجراند - ترجمة: د. تمام حسان - عالم الكتب - ط ٢ - القاهرة ٢٠٠٧م: ص ١٠٣

(٩٧) دلائل الإعجاز: ص ٣٠٥

(٩٨) القصد ودوره في تفسير النص [دراسة نحوية دلالية نصية] - إعداد/ صلاح الدين شعبان مطاوع عبد العاطي - رسالة دكتوراه - إشراف الأستاذ الدكتور محمد حماسة - كلية دار العلوم جامعة القاهرة ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.



ولكن في البداية لا بد من الإقرار بأن علماء العربية القدامى كانوا على وعي تام بأهمية قصدية منتج النص وتقبلية المتلقي في خلق تداولية نصية صحيحة؛ إذ من الممكن أن "يجد الباحث عن الدراسات المتعلقة بالقصدية والتقبلية مادةً وفيرةً للبحث في مؤلفات الجاحظ؛ كالبيان والتبيين، والحيوان، وغيرهما"^(٩٩) كما اعتمد أيضًا الراغب الأصفهاني في تعريفه للبلاغة على قصدية منتج النص وتقبلية المتلقي؛ إذ جعلهما أحد الأوجه التي تُعرف بها البلاغة، يقول: "والبلاغة تُقال على وجهين: أحدهما أن يكون بذاته بليغًا، وذلك بأن يجمع ثلاثة أوصاف صوابًا في موضوع لغته، وطبقًا للمعنى المقصود به وصدقًا في نفسه، ومتى اخترم وصفٌ في ذلك كان ناقصًا في البلاغة. والثاني: أن يكون بليغًا باعتبار القائل والمقول له، وهو أن يقصد القائل أمرًا؛ فيرُدُّه على وجه حقيق أن يقبله المقول له."^(١٠٠)

كما ألمح ابنُ فارس أيضًا إلى أهمية القصدية والتقبلية في توضيح النص؛ إذ يقول في "باب مراتب الكلام في وضوحه وإشكاله: أما واضح الكلام - فالذي يفهمه كلُّ سامع عرَفَ ظاهرَ كلام العرب؛ كقول القائل: شربت ماءً ولقيت زيدًا. وكما جاء في كتاب الله جلَّ ثناؤه من قوله: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ وَلَحْمُ الْخَنَازِيرِ»^(١٠١) وكقول النبي صلى الله

(٩٩) مدخل إلى علم لغة النص - د. إلهام أبو غزالة و على خليل حمد - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ط ٢ - القاهرة ١٩٩٩م: ص ٢٠
(١٠٠) مفردات غريب القرآن - أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني - بدون دار نشر أو مطبعة - د.ط/ د.ت - القاهرة: ص ٦١
(١٠١) المائة جزء من الآية ٣



تعالى عَلَيْهِ وسلم: إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ؛ فَلَا يَعْصِمُ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ حَتَّى يَغْسِلَهَا
ثَلَاثًا." (١٠٢)

والنص السابق يكشف بوضوح عن أهمية العلاقات النحوية في بناء تداولية موجبة للنص؛ إذ إن الالتزام بالنظام النحوي القائم على تفاعلات العلاقات النحوية أدى إلى الوضوح وعدم اللبس؛ لذلك قال ابن فارس بعد ذلك: "من العلوم الجليلة التي خصت بها العرب - الإعرابُ الَّذِي هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ، وبه يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام، ولولاه مَا مَيَّزَ فاعل من مفعول، ولا مضاف من مَنعوت، ولا تَعَجُّبٌ من استفهام، ولا صَدْرٌ من مصدر، ولا نَعْتُ من تأكيد." (١٠٣)

ومن ثمَّ فإنَّ العلاقات النحوية التي هي سبب رئيسي- لظهور العلامات الإعرابية خاصة في الجملة تسهم بشكل واضح في بناء قصدية منتج النص، وقد تنبَّه إلى ذلك عبد القاهر الجرجاني؛ إذ يقول في أثناء تحليله لبيت بشار بن برد:

كأن مثار النقع فوق رءوسنا وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبُه (١٠٤)
"انظر هل يُتصوَّرُ أن يكون بشارٌ قد أخطَرَ معاني هذا الكلم بباله أفراداً عارياً من معاني النحو التي تراها فيها، وأن يكونَ قد وَقَعَ [كأن]: في نفسه من غير أن يكونَ قَصِدَ إيقاعَ التَّشْبِيهِه منه على شيء وأن يكونَ فَكَّرَ في [مثار النقع] من غير أن يكونَ أرادَ إضافةً

(١٠٢) (الصاحبي في فقه اللغة، وسنن العرب في كلامها - ابن فارس - تحقيق مصطفى الشومي - مؤسسة أ. بدران

للطباعة والنشر - د.ط - بيروت ١٩٦٣م: ص ٧٤

(١٠٣) السابق ص ٧٤ - ٧٥

(١٠٤) الأغاني - أبو الفرج الأصفهاني - تحقيق: سمير جابر - دار الفكر - ط ٢ - د.ت - بيروت: ج ٣ / ٢٣٤



الأول إلى الثاني وفكّر في [فوق رؤوسنا] من غير أن يكون قِدَ أَرَادَ أن يضيف [فوق] إلى الرؤوس وفي الأسياف من دون أن يَكُونَ أَرَادَ عطفها بالواو على [مثار]، وفي الواو من دون أن يَكُونَ أَرَادَ العطف بها، وأن يكون ذلك فكّر في [اللَّيْل] من دون أن يكون أَرَادَ أن يجعله خبرًا لكأن وفي [تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ] من دون أن يكون أَرَادَ أن يجعل تهأوى فعلًا للكواكب ثم يجعل الجملة صفةً لليل؛ ليتمّ الذي أَرَادَ مِنَ التَّشْبِيهِ أم لم تخطُرْ هذه الأشياءُ بباله إِلَّا مُرَادًا فيه هذه الأحكامُ والمعاني التي تراها فيها. وَلَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ يَتَصَوَّرُ وَقَوْعُ قَصْدٍ مِنْكَ إِلَى مَعْنَى كَلِمَةٍ مِنْ دُونِ أَنْ تَرِيدَ تَعْلِيلَهَا مَعْنَى كَلِمَةٍ أُخْرَى." (١٠٥)

فما فوق الخط في النص السابق يدلُّ دلالةً واضحةً على الوعي المبكّر لدى الجرجاني بأهمية العلاقات النحوية في تشكيل القصدية لدى [المتكلم] منتج النص. فغياب العلاقات النحوية يحوّل الجملة إلى أصوات غير مفهومة تنعكس بالسلب على تداولية النص؛ لذلك يقول الجرجاني: "معلومٌ أنّك أيها المتكلمُ لستَ تقصدُ أن تُعلِّمَ السامعَ معاني الكلم المفردة التي تكلمه بها؛ فلا تقول: خَرَجَ زَيْدٌ؛ لتعلّمه معنى [خَرَجَ] في اللغة ومعنى [زيد] كيف ومحالٌ أن تكلمه بالفاظٍ لا يعرفُ هو معانيها كما تعرف، ولهذا لم يكن الفعلُ وحده من دون الاسم ولا الاسمُ وحده من دون اسمٍ آخرٍ أو فعلٍ كلاًماً. وكنتَ لو قلتَ: [خرج]، ولم تأتِ باسمٍ ولا قدّرتَ فيه ضميرَ الشيء أو قلتَ: زيد ولم تأتِ بفعل ولا اسم آخر ولم تُضمّرْه في نفسك كان ذلك وصوتاً تُصوّته سواء فاعرفه." (١٠٦)

(١٠٥) دلائل الإعجاز ص ٣٠٤ - ٣٠٥

(١٠٦) السابق ص ٣٠٥



وقد أكد ذلك أيضًا أبو حيان التوحيدي؛ إذ رأى أنَّ "صحيح الكلام من سقيمه يُعرف بالنظم المؤلف والإعراب المعروف إذا كنَّا نتكلَّم بالعربية"^(١٠٧) والنظم عند التوحيدي ما هو إلا النظم النحوي الذي تشكَّله العلاقات النحوية المختلفة على مستوى النص، وقد حدد أبو حيان ذلك على لسان محدِّثه أبي سعيد؛ إذ يقول: "معاني النحو منقسمة بين حركات اللفظ وسكناته، وبين وضع الحروف في مواضعها المقتضية لها، وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير، وتوحيُّ الصواب في ذلك، وتجنُّب الخطأ من ذلك، وإن زاغ شيءٌ عن هذا النعت؛ فإنه لا يخلو من أن يكون سائغًا بالاستعمال النادر والتأويل البعيد أو مردودًا؛ لخروجه عن عادة القوم الجارية على فطرتهم."^(١٠٨)

ومن ثَمَّ فغياب العلاقات النحوية يؤدي إلى اللبس والغموض لدى متلقي النص؛ لذلك أشار الدكتور تمام حسَّان إلى أن غياب القصدية يوئد تداوليةً صفريةً لا تحقق أي هدف؛ إذ يقول: "وأول ما يسبب غموض الدلالة واللبس في فهمها أن يكون صاحب النص ومنشئه غير فاهم ما يقوله فهمًا تامًّا، وهذا أمرٌ طبيعي جدًّا؛ إذ إن فاقد الشيء لا يعطيه"^(١٠٩) وهو ما أكَّده دي بوجراند؛ إذ رأى أن النص يؤدي الغرض منه "بواسطة تنشيط المفاهيم والعلاقات التي يُشار إليها بالعبارات."^(١١٠)

(١٠٧) الإمتاع والمؤانسة - أبو حيان التوحيدي - تقديم أحمد أمين - سلسلة الأنيس - موفم للنشر - د. ط - الجزائر

١٩٨٩م: ج١/ ١٥٤

(١٠٨) السابق ج١/ ١٦٤

(١٠٩) أمن اللبس ووسائل الوصول إليه في اللغة العربية - د. تمام حسان - مجلة كلية دار العلوم - ١٤ - جامعة

القاهرة: ص ١٣٦

(١١٠) النص والخطاب والإجراء ص ٢٠١



ويجدر بالذكر أيضاً أنَّ الدكتور محمد حماسة قد التفت إلى فاعلية العلاقات النحوية في تشكيل قصيدة منتج النص، وخاصةً الشعراء؛ إذ يقول: "إن القصيدة بناءً فني يحمل من الإشارات الكثير، ولكن الدليل الذي لا دليل سواه على كلِّ ما يريد الشاعر من قصيدته هو ما يقوله فعلاً في القصيدة. وما يقوله هو الكلام المحكوم بعلاقات نحوية معينة أنتجت هذه الدلالات المكثفة."^(١١١)

فالعلاقات النحوية تسهم في تشكيل قصيدة منتج النص من خلال المزج والتفاعل بين المعاني النحوية، والمفردات المتضمنة الدلالة المعجمية الأولية؛ فالمعاني النحوية التي هي جزءٌ أصيل من العلاقات النحوية - تكون مطروحةً في الذاكرة يعرفها جميع منتجي النصوص؛ شعراء كانوا أو كتاباً، وكذلك أيضاً المفردات المعجمية، وإنما عمود الأمر الذي يمتاز به شاعرٌ عن كاتبٍ أو كاتبٌ عن شاعرٍ - يتمثل في إمكانية التوليف المؤدي إلى التفاعل بين المعاني النحوية، والمفردات أو الكلمات المتضمنة الدلالة المعجمية الأولية.

وعبقرية منتج النص شاعرًا كان أو ناثرًا إنما تكمن في التوظيف الجيد للعلاقات النحوية داخل النص، وذلك مع مراعاة الاختيار الدقيق من بين جداول المفردات المخزنة في الذاكرة، والتي تمثل الحصيلة اللغوية لمنتج النص؛ إذ إن كل "كلمة تنتظم رأسياً في عقل ابن اللغة في حقل معجمي أمّا بعد نظم الجملة؛ فقد يتجرّد المعنى المعجمي لكل كلمة ويتخصص وتدبُّ فيه الحياة؛ بسبب انضمامه إلى غيره من المعاني وفق نظام مقبول اتفقت عليه الجماعة اللغوية."^(١١٢)

(١١١) اللغة وبناء الشعر - د. محمد حماسة عبد اللطيف - مكتبة الزهراء - ط ١ - القاهرة ١٩٩٢م: ص ٢٨
(١١٢) نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية - د. مصطفى حميدة - الشركة العالمية للنشر [لونجمان] - د. ط - القاهرة ١٩٩٧م: ص ١١١



ومن خلال هاته العمليات السابقة يتشكل أسلوب منتج النص، وهو ما يجعل إنتاج شاعر ينماز عن إنتاج شاعر آخر؛ لذلك حصر بلاكمور - في أثناء تحليله لشعر ولاس سيفنز، وإيملي ديكنسون - عبقرية الإبداع "في الكلمات التي يستعملها، وفي الطريقة التي يضع فيها الكلمات."^(١١٣)

لذلك أكد الدكتور محمد حماسة أن "بناء الجملة هو الذي يكشف عبقرية الشاعر ويظهر تفرّده وامتيازه. إنّ الشاعر الفرد عليه أن يشقّ طريقه المتميز من خلال كم المفردات الهائل الذي استخدمه قبله مئات الشعراء، ومن خلال الأنظمة النحوية المحدودة، وعليه أن يختار بينهما ما يجعله فريداً متميزاً، ويعطيه تأشيرة الرحلة عبر العصور والأجيال."^(١١٤)

وبناءً على ما سبق؛ فقد تأكد للبحث من خلال التحليل النصي أن القصيدة لا يمكن أن تنفصل بأيّ حال من الأحوال عن التداولية^(١١٥)، وهذا ما دعا أوستن إلى مخالفة الفلاسفة الكلاسيكيين وموافقة أسلافه من فلاسفة التحليل في إدخال "مفهوم القصيدة

(١١٣) انظر: النحو والدلالة ص ٢١٦ - ٢١٧ نقلًا عن [النقد الأدبي ومدارسه الحديثة] - ستانلي هايمن - ترجمة: د. إحسان عباس، ود. محمد يوسف نجم - دار الثقافة - ط ٣ - بيروت ١٩٧٨م.

(١١٤) النحو والدلالة - د. محمد حماسة عبد اللطيف - دار غريب للطباعة والنشر - د. ط - القاهرة ٢٠٠٦م: ص

٢١٧

(١١٥) لذلك هناك مَنْ عرّف التداولية بأنها فرع اللغة يبحث في كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم Speaker intentions، أو هو دراسة معنى المتكلم Speaker meaning ؛ فقول القائل: أنا عطشان مثلًا قد يعني: أحضر لي كوبًا من الماء، وليس من اللازم أن يكون إخبارًا بأنه عطشان؛ فالمتكلم كثيرًا ما يعني أكثر مما تقوله كلماته. [انظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص ١١٣]



Intentionnalite في فهم كلام المتكلم، وفي تحليل العبارات اللغوية، وهو مبدأ أخذ من الفيلسوف هوسرل Husserl والظاهرانيين، واستثمره في تحليل العبارات اللغوية.^(١١٦)

ومن ثم فإن التداولية بفروعها المتنوعة تُلزم منتج النص بمراعاة بعض الضوابط؛ حتى تتكون قصدية سليمة تعقبها تداولية موجبة تؤدي إلى نجاح العملية التواصلية، ومن قديم أثار ابن هشام مثل هاته المسألة؛ إذ أشار إلى ضرورة مراعاة منتج النص/المتكلم للأصول وسلوكه الكلامي؛ إذ ذكر عشر- جهات قد يدخل الاعتراض على المعرب من جهتها^(١١٧).

(١١٦) التداولية عند العلماء العرب ص ١٠

(١١٧) انظر: مغني اللبيب ٦٨٤ - ٧٨٢



التقبلية:

كما تُعدُّ التقبلية أيضاً أحد المعايير المهمة في بناء الهيكل التداولي للنص، وتكون على اتصال دائم بقصدية منتج النص؛ إذ إن عملية التواصل في أساسها مبنيةً على تبادل الكلام بين الأطراف المتخاطبة "والذي يقوم على الالتجاء إلى معجم نفهمه ويفهمه المتحدث الذي أماننا وإلا انعدم الاتصال والتواصل بيننا"^(١١٨) "وفي جميع الأحوال يقوم مستقبل النص بمقابلة عالم النص بما لديه من خبرات معرفية سابقة معتمداً في ذلك على أسلوب مزوجة الأنماط، وهو يفضل الأنماط الأعم في عملية المزوجة على سواها في أغلب الحالات."^(١١٩)

وقد تنبّه ابن جنّي قديماً إلى عملية التفاعل التي تتم بين النص وذاكرة المتلقي، والتي تعتمد في الأساس على التداعي والاختيار من المعنيين النحوي والمعجمي؛ إذ يقول: "ألا تراك حين تسمع ضَرْبٍ قد عرفت حدثه وزمانه، ثم تنتظر فيما بعد فتقول: هذا فِعْلٌ ولا بدُّ له من فاعل؛ فليت شعري مَنْ هو وما هو؛ فتبحث حينئذٍ إلى أن تعلم الفاعل مَنْ هو وما حاله مِنْ موضع آخر لا من مسموع ضرب، ألا ترى أنه يصلح أن يكون فاعله كُلُّ مذكَرٍ يصحُّ منه الفعل مجملاً غير مفصّل. فقولك: ضرب زيد، وضرب عمرو، وضرب جعفر، ونحو ذلك شَرَعٌ سواء وليس لضرب بأحد الفاعلين هؤلاء (ولا) غيرهم خصوص

(١١٨) أسس علم التواصل في الفكر الألماني المعاصر - حسن مصدق - مجلة الفكر العربي ع ٢٥ - مركز الإنماء القومي

- بيروت/لبنان ٢٠٠٥م: ص ١٠٧

(١١٩) مدخل إلى علم لغة النص ص ١٣



ليس له بصاحبه كما يخصُّ بالضرب دون غيره من الأحداث وبالماضي دون غيره من الأبنية." (١٢٠)

فالنص السابق يدل على التفاعل بين النص وعقل المتلقي؛ لذلك يكون للمتلقي مع النص حالات متطورة بعدد مرات تلقي النص؛ "لأن مباشرة المتلقي للنص للمرة الأولى تختلف عن معاودته لقراءة النص للمرة الثانية؛ إذ تتكشف له أشياء ودلالات جديدة في فضاء النص لم تتبدَّ له في المرة الأولى. وكذلك الأمر يكون له شأنٌ ثالث عند اختزانه للنص في الذاكرة، وله شأنٌ رابع عند تشرُّبه للنص وتفاعله معه، ويظهر ذلك من خلال حديث المتلقي عن النص؛ إذ في كل مرة يصير النصُّ نصًّا جديدًا." (١٢١)

ومن ثم فخضوع عالم النص بما يرتكز فيه من علاقات مختلفة - لما هو مخزون في ذاكرة متلقي النص يؤدي إلى اختلاف نموذج عالم النص من شخص إلى آخر، "ويعود ذلك إلى عوامل منها الاستنتاج والتحديث [أي تغيير في عالم النص بخصوص ما هو صحيح عند كل لحظة زمنية بحسب تأثير الحوادث في الموقف] وعدم التماثل، وتوسيع الاستثارة [يقع توسيع الاستثارة حين تمسُّ المادة التي يستثيرها النص مادةً أخرى ذات صلة مختزنة في أذهان مستعملي النص]. ويتصف نموذج عالم النص بأنه نموذج احتمالي الطابع؛ وذلك لأن

(١٢٠) الخصائص ج٣/ ٩٨ - ٩٩

(١٢١) انظر: قضية البنيوية [دراسة ونماذج] - عبد السلام المسدي ص ٥٢. بتصرف. ويجدر بالذكر أيضًا أن "قراءة النص من أجل إعادة إنتاجه؛ فيشمل العرض والقراءة؛ أي العرض الكاشف، إما بالرجوع إلى بنية النص ذاته وتركيبه من حيث فن التأليف، وصنعة الكاتب، وهذه هي المراجعة الشكلية. أو بإرجاعه إلى الموضوع ذاته؛ من أجل دراسته من حيث هو علم، وهذه هي المراجعة الموضوعية." [قراءة مفهوم النص لنصر حامد أبو زيد - حسن حنفي - مجلة فصول - مج ٩ - ع ٣، ٤؛ - فبراير ١٩٩١م - ص ٢٢٧].



الاتصال البشري يعتمد في العادة على وقائع احتمالية ويتم التغلب على اللا يقينية باللجوء إلى مختلف الأدلة المتيسرة."^(١٢٢)

وقد لاحظ البحث أن لذة النص تتحقق لدى المتلقي عندما يخرج بعد قراءة النص بحالة نفسية مختلفة عما كان عليه قبل قراءة النص، ويؤدي إلى تولُّد هاته اللذة النصية عدة أمور هي - من وجهة نظر البحث:

- تنظيم العلاقات اللفظية على مستوى سطح النص.
- تنظيم العلاقات الدلالية على مستوى عالم النص.
- أثر المعنى التبعية [معنى المعنى] على المتلقي وعلى إعلامية النص.
- انتظام مستوى العلاقات الإيقاعية أو الصوتية داخل أجزاء/ وحدات/ كتل النص.

لذلك فخلال "عملية تلقي الرسالة الجمالية تتشكّل لدى المتلقي شفرة خاصة، مضافة إلى الشفرات اللغوية والثقافية التي ما زالت حية عند بثّ الرسالة، تعتمد على الموروث المستقر في الوعي من ناحية، وتهدف إلى توسيع مداه بابتكار أنماط جديدة من البيانات الجمالية المستحدثة من ناحية أخرى."^(١٢٣)

(١٢٢) مدخل إلى علم لغة النص ص ١٣
(١٢٣) نبرات الخطاب الشعري - د. صلاح فضل - طبعة مكتبة الأسرة - القاهرة ٢٠٠٤م: ص ٢٣



ولا بد من توافق القصدية مع التقبلية، وإلا كانت التداولية سالبة تجعل منتج النص في واد والمتلقي في واد آخر، ويوضح ذلك ما رواه الجاحظ؛ إذ يقول: "أثيتُ منزل صديق لي؛ فطرقتُ الباب؛ فخرجت إليَّ جاريةٌ سنديّة؛ فقلتُ لها: قولي لسيدك: الجاحظ بالباب. فقالت: أقول الجاحد بالباب. قلتُ: لا بل قولي الحدقي في الباب. فقالت: الحلقي في الباب؛ فقلتُ لها: لا تقولي شيئاً وانصرفتُ." (١٢٤)

ويجدر بالذكر أيضاً أن البلاغيين القدامى التفتوا إلى أهمية مراعاة المخاطب في أثناء عملية بناء النص، وقد ذكر ابن رشيق القيرواني عدة نماذج تدل على درجات الوعي بالمخاطب في أثناء عملية بناء النص، ومن ذلك أن جريراً الشاعر دخل على عبد الملك بن مروان؛ فابتدأ ينشده: [أتصحو أم فؤادك غير صاح...] فقال له عبد الملك: بل فؤادك أنت يابن الفاعلة، وكأن عبد الملك استثقل هذه المواجهة (١٢٥).

كما نبّه المبرد أيضاً إلى ضرورة مراعاة منتج النص لتقبلية المتلقي؛ إذ يقول: "إنما كُره زيدٌ قام زيدٌ؛ لئلا يُتوهم أنّ الثاني خلاف الأول، وهذا لا يُتوهم في الأجناس" (١٢٦)؛ لذا "يتوجّب على منتجي النص أن تتوفر لديهم القدرة على توقُّع استجابات المستقبلين؛ من حيث دعمها أو معارضتها للخطة كأن يقوموا ببناء نموذج داخلي للمستقبلين ومعتقداتهم، ومعرفتهم." (١٢٧)

(١٢٤) نقلاً عن كتاب [مدخل إلى علم لغة النص] ص ٣٢

(١٢٥) انظر: العمدة في محاسن الشعر ج ١/ ٢١٨ - ٢١٩

(١٢٦) النكت في تفسير كتاب سيبويه - الأعلام الشنتمري [أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى] - تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان - معهد المخطوطات العربية - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - ط ١ - الكويت

١٩٩٧/١هـ - ١٩٩٧م: ج ١/ ١٩٩

(١٢٧) مدخل إلى علم لغة النص ص ١٧٨



وعند حدوث عدم توافق بين قصدية منتج النص، وتقبلية متلقيه تتولّد تداولية سالبة؛ لا يمكن معه أن تؤدي الرسالة اللغوية الدور المنوط بها؛ إذ النص - على حدّ تعبير يوري لوتمان - "يقوم بوظيفة حامل الرسالة"^(١٢٨) ويتضح ذلك بالخبر الذي رواه الجاحظ في البيان والتبيين؛ إذ يقول: "قال أبو عمرو: خرج صعصعة بن صولجان عائداً إلى مكة؛ فلقية رجلاً؛ فقال له: يا عبد الله كيف تركت الأرض. قال: عريضة أريضة. قال: إنما عنيتُ السماء. قال: فوق البشر، ومدى البصر. قال: سبحان الله إنما أردتُ السحاب. قال: تحت الخضراء، وفوق الغبراء. قال: إنما أعني المطر. قال: قد عفا الأثر وملا القتر، وبَلّ الوتر، ومطرنا أحيا المطر. قال: إنسي أنت أم جني. قال: بل إنسي من أمة رجل مهدي." ^(١٢٩)

فمنتج النص [المتكلّم] كان يُغيّر دلالة السؤال في كلّ مرة؛ ليربطه بسياق جديد، وكان صعصعة بن صولجان يتكيف مع السؤال الجديد بما لا يتفق مع قصدية منتج النص؛ لذلك لم تتوافق القصدية مع التقبلية، وهو ما أدّى في النهاية إلى تولّد تداولية صفرية أسفرت عن فشل الرسالة اللغوية.

ومن ثم فلا بد من تضيير قصدية منتج النص بتقبلية المتلقي؛ إذ إن ذلك يؤثّر على البنية النصية أو بالأحرى توظف البنية النصية توظيفاً تداولياً يسمح بإحداث تأثير معيّن؛ لذلك ينبغي "للشاعر أن يحترز في أشعاره، ومفتتح أقواله مما يُتطير به أو يُستجفى من

(١٢٨) بنية النص السردي - يوري لوتمان - ترجمة: عبد النبي اصطيف - مجلة فصول - مج ١١ - ع ٤ - شتاء ١٩٩٣م [زمن الرواية] الجزء الأول ص ٥٧
(١٢٩) البيان والتبيين - أبو عثمان عمرو بن بحر [الجاحظ] - تحقيق: المحامي فوزي عطوي - دار صعب - ط ١ - بيروت ١٩٦٨م: ص ٦٠٦ - ٦٠٧



الكلام والمُخاطبات؛ كذكر البُكاء، ووصف إقفار الديار، وتشئت الآلاف، ونعي الشباب، وذم الزمان لا سيما في القصائد التي تتضمن المدائح أو التهاني، ولا تُستعمل هذه المعاني في المرثي، ووصف الخطب الحادثة. فإن الكلام إذا كان مؤسسًا على هذا المثل تطير منه سامعه، وإن كان يعلم أن الشاعر إنما يخاطب نفسه دون الممدوح فيجتنب، مثل ابتداء قول الأعشى:

ما بكاء الكبير بالأطلال وسؤالي وهل ترد سؤالي
دمنة قفرة تعاورها الصيـ ف بريحين من صباً وشمال
... وأنشد البحري أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري قصيدته التي أولها:

لك الويلُ من ليلٍ تناول آخره ووشك نوى حي تزم أباعره
فقال له أبو سعيد: الويل لك والحرب... فإن أرتأة بن سهية الشاعر دخل على
عبد الملك بن مروان؛ فقال له: ما بقي من شعرك؟ فقال: ما أطرب ولا أحزن يا أمير
المؤمنين، وإنما يُقال الشعر لأحدهما. ولكنني قد قلت:

وما تبغي المنية حين تغدو سوى نفس ابن آدم من مزيد
وأحسبُ أنها ستكر يومًا تُوفي نذرها بأبي الوليد

فقال له عبد الملك: ما تقول ثكلتك أمك؟ فقال: أنا أبو الوليد يا أمير المؤمنين. وكان عبد الملك يُكَنِّي أبا الوليد أيضاً، فلم يزل يعرف كراهة شعره في وجه عبد الملك إلى أن مات." (١٣٠)

يتأكّد مما سبق ضرورة توافق القصيدة مع التقبيلية، ولا يتم ذلك إلا بمراعاة منتج النص لتقبيلية المتلقي؛ لذلك ينبّه ابن طباطبا العلوي أنه "ينبغي للشاعر أن يتأمل تأليف شعره، وتنسيق أبياته، ويقف على حُسن تجاورها أو قُبْحه؛ فيلائم بينها لتنظم له معانيها، ويتصل كلامه فيها، ولا يجعل بين ما قد ابتدأ وصفه وبين تمامه فضلاً من حشو ليس من جنس ما هو فيه؛ فينسى السامع المعنى الذي يسوق القول إليه، كما أنه يحترز من ذلك في كل بيت، فلا يباعد كلمة من أختها، ولا يحجز بينها وبين تمامها بحشو يشينها، ويتفقد كل مصراع، هل يشاكل ما قبله؟ فرما اتفق للشاعر بيتان يضع مصراع كل واحد منهما في موضع الآخر؛ فلا يتنبه على ذلك إلا من دَقَّ نظره ولطف فهمه. وربما وقع الخلل في الشعر من جهة الرواة والناقلين له؛ فيسمعون على جهة ويؤدونه على غيرها سهواً، ولا يتذكرون حقيقة ما سمعوه منه، كقول امرئ القيس:

كأني لم أركب جواداً للذة ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال
ولم أسبأ الزق الروي ولم أقل لخيلى: كري كرهة بعد إجفال

(١٣٠) عيار الشعر - محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي - تحقيق: محمد زغلول سلام - منشأة المعارف - ٣ - د.ت - الإسكندرية، مصر: ص ١٦٢ - ١٦٣



هكذا الرواية وهما بيتان حسان، ولو وضع مصراع كل واحد منهما في موضع الآخر كان أشكل وأدخل في استواء النسج فكان يروي:

كأنني لم أركب جواداً ولم أقل لخيلى كرى كرة بعد إجفال
ولم أسبأ الزق الروي للذة ولم وأتبطن كاعباً ذات خلخال^(١٣١)
ومما يجدر التنبيه إليه أنه من أجل تلاشي القصيدة الصفرية التي تجعل النص في وادٍ
ومقصد منتج النص في وادٍ آخر - وضع جرایس [مبدأ التعاون] Principle co
operative الذي يضع منتج النص ومنتقيه على خط واحد؛ إذ إنه مبدأ حوارى يشتمل
أربعة مبادئ Maxims فرعية، هي^(١٣٢):

١- مبدأ الكم Quantity: اجعل إسهامك في الحوار بالقدر المطلوب من دون أن تزيد عليه أو تنقص منه.

٢- مبدأ الكيف Quality: لا تقل ما تعتقد أنه غير صحيح، ولا تقل ما ليس عندك دليل عليه.

٣- مبدأ المناسبة Principle: اجعل كلامك ذا علاقة مناسبة بالموضوع.

٤- مبدأ الطريقة principle manner: كن واضحاً ومحددًا؛ فتجنّب الغموض وتجنّب اللبس ambiguity وأوجز ورتّب كلامك.

(١٣١) السابق ص ١٦٤

(١٣٢) انظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص ٣٤ - ٣٥



فهااته المبادئ من شأنها أن تُنَجِّح العملية التداولية للنص؛ من خلال نجاح القصدية الخاصة بمنتج النص، والتقبلية الخاصة بالمتلقي.

ويمكن أن يُلاحَظ تحقُّق المبادئ السابقة من خلال المثال الآتي:

● الأب: أين محمد؟

● الأم: في المدرسة.

فِيُلاحَظ تحقُّق مبدأ التعاون، والمبادئ التي يشتمل عليها؛ إذ أجابت الأم إجابةً واضحةً [الطريقة]، وكانت صادقة [الكيف]، وعَبَّرت عمَّا تقول بكلمات قليلة دون تزيُّد [الكم]، وهو ما يجعل منتج النص والمتلقي على خط واحد؛ مما يساهم في إعلاء تداولية النص.

ولو أنَّ الزوجة أجابت عن سؤال زوجها قائلة:

● في الثلجة.

لأدَّى ذلك إلى تحقُّق تقبلية صفرية لعدم تناسب وتناغم قصدية المتكلم مع تقبلية المخاطب. لذلك اهتم نحاة العربية برصد العديد من المقاصد النحوية؛ لفظية ومعنوية الخاصة بالتراكيب؛ وذلك كالآتي^(١٣٣):

١- المقاصد المعنوية: ويندرجُ تحتها كلام النحاة حول [الإفادة - أمن

اللبس - الإيضاح - التخصيص]؛ فيُلاحَظ أنَّ نحاة العربية جعلوا من [الإيضاح

(١٣٣) انظر: في المقاصد العامة للنحو العربي نظرًا وتطبيقًا - د. مصطفى أحمد عبد العليم - كتاب المؤتمر الثاني للعربية والدراسات النحوية [العربية وقرن من الدرس النحوي] - كلية دار العلوم - جامعة القاهرة ١٧، ١٨ ذو الحجة ١٤٢٣هـ / ١٨، ١٩ فبراير ٢٠٠٣م: ص ٨٢٤ - ٨٤١.



والتبيين] مقصدًا لعدد من الأبواب النحوية، مثل: النعت، والإضافة، والحال،
والتمييز، والبدل، وعطف البيان، وعدد من حروف الجر؛ إذ يقول ابن مالك
عن التمييز:

"اسم بمعنى من مبيِّن نكرة ... ينصب تمييزًا بما قد فسرهُ."^(١٣٤) وقد يتم

إسباغ القصيدة بمعنى التخصيص؛ نتيجة وجود بعض العناصر التركيبية، كالآتي:

• المجيء بضمير الفصل، مثل قوله تعالى: «وَأُولَئِكَ هُمُ

الْمُفْلِحُونَ»^(١٣٥) "هم ضمير فصل يفصل الخبر عن الصفة، ويؤكد

النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند إليه."^(١٣٦)

• المجيء بالنعت يقول ابن هشام: "النَّعْتُ وَهُوَ تَابِعٌ مُشْتَقٌّ أَوْ

مُؤَوَّلٌ بِهِ يُفِيدُ تَخْصِيصَ مَتَّبِعِهِ."^(١٣٧)

• الإضافة: مثل: كتاب محمد.

• لام الجر: المال لزيد؛ أي يختص به.

(١٣٤) شرح ابن عقيل - بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمداني - تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد - دار الفكر - ط ٢ - دمشق ١٩٨٥م: ج ٢ / ٢٨٦.

(١٣٥) البقرة جزء من الآية ٥

(١٣٦) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم - محمد بن محمد العمادي أبو السعود - دار إحياء التراث العربي - د.ط/ د.ت - بيروت: ج ١ / ٣٤

(١٣٧) شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب - ابن هشام - تحقيق: عبدالغني الدقر - الشركة المتحدة للتوزيع - دمشق ١٩٨٤م: ص ٥٥٥



- الظرف: مثل: صِيمَ زَمْنٌ طَوِيلٌ.
- المصدر النائب عن الفاعل: ضُرِبَ ضَرْبٌ شَدِيدٌ.
- التقديم: كتقديم الخبر، مثل قوله تعالى: «لِلَّهِ مَلِكُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ».^(١٣٨)

- مجيء المبتدأ نكرة: مثل قوله تعالى: «وَأَجَلٌ مُّسَمًّى
عِنْدَهُ».^(١٣٩)

وفضلاً عن ذلك فهناك بعض المقاصد الأخرى التي قد تدلّ عليها بعض التراكيب داخل النص كالتوكيد؛ إذ يُعَدُّ من أهم المقاصد المعنوية التي تنتظم كثيراً من الموضوعات النحوية، وهناك دلائل كثيرة تدل عليه داخل النص، مثل:

- التوكيد الوظيفي.
- الصفة: يقول عبد القاهر الجرجاني: "وَأَنَّ مِنَ الصِّفَةِ صِفَةً لَا يَكُونُ فِيهَا تَخْصِيصٌ وَلَا تَوْضِيحٌ، وَلَكِنْ يُؤْتَى بِهَا مُؤَكَّدَةً كَقَوْلِهِمْ: أَمْسِ الدَّابَّرُ. وكقوله تعالى:
«فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ»^{(١٤٠) (١٤١)}

(١٣٨) الشورى جزء من الآية ٤٩
(١٣٩) الأنعام جزء من الآية ٢



- المفعول المطلق.

- القسم.

- عددٌ من الأدوات والحروف، مثل: [إن - أن] - لام الابتداء - أحرف التنبيه - نون التوكيد - الحروف الزائدة [من - الباء - الكاف] - أما الشرطية ضمير الفصل - التقديم.

٢- المقاصد اللفظية: ويتمثل ذلك في [الاختصار]؛ إذ يُعَدُّ من المقاصد اللفظية المستمدة من التنظيم التركيبي للعلاقات النحوية وما يتعلَّق بطرفيها من مكملات إسنادية. ومما يساعد على إضفاء الاختصار على قصيدة منتج النص الآتي:

- الإحالة الضميرية؛ إذ تؤدي إلى اختزال البنية التركيبية للنص من خلال تضافر العناصر الإحالية بمراجعها [العناصر الإشارية] كما سبق بيانه في الفصل الثالث.

- الحروف الدالة على المعاني: يقول ابن جني: "اعلم أن الحروف لا يليق بها الزيادة ولا الحذف، وأنَّ أعدل أحوالها أن تستعمل غير مزيدة ولا محذوفة؛ فأما وجه القياس في امتناع حذفها؛ فمن قبل أن الغرض في الحروف إنما هو

(١٤٠) الحاققة ١٣

(١٤١) دلائل الإعجاز ص ٤٤



الاختصار ألا ترى أنك إذا قلت: ما قام زيد؛ فقد نابت ما عن أنفي. وإذا قلت: هل قام زيد؛ فقد نابت هل عن أستفهم فوقوع الحرف مقام الفعل وفاعله غاية الاختصار فلو ذهبت تحذف الحرف تخفيفاً لأفرطت في الإيجاز؛ لأن اختصار المختصر إجحاف به." (١٤٢)

■ الحذف: مثل حذف أحد طرفي المركب الإسنادي؛ المسند أو المسند إليه أو حذف أحد المكملات المتعلقة بأحدهما. كما سبق بيانه في الفصل الثالث من البحث.

مما سبق يتأكد للبحث أهمية العلاقات النحوية في بناء الهيكل التداولي للنص؛ إذ النص ما هو إلا مجموعة من الجمل تؤدي معنى خاصاً يعتمد على القصدية من جانب منتج النص، ويحاول متلقي النص أن يفك شفرة النص، ومن ثم تتحدد تقبلية النص.



(١٤٢) سر صناعة الإعراب - أبو الفتح عثمان بن جني - تحقيق: د. حسن هندواي - دار القلم - ط ١ - دمشق ١٩٨٥ م: ج ١ / ٢٦٩



ثبت المصادر والمراجع

١. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر - د. محمود أحمد نحلة - مكتبة الآداب - ط ١ - القاهرة ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م
٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم - محمد بن محمد العمادي أبو السعود - دار إحياء التراث العربي - د.ط / د.ت - بيروت
٣. أسس علم التواصل في الفكر الألماني المعاصر - حسن مصدق - مجلة الفكر العربي ع ٢٥ - مركز الإنماء القومي - بيروت/لبنان ٢٠٠٥م
٤. الأسلوب [دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية] - أحمد الشايب - دار النهضة المصرية - ط٦- القاهرة ١٩٦٦م
٥. الأصول - د/ تمام حسان - عالم الكتب - د.ط - القاهرة ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م
٦. الأصول في النحو - أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي - تحقيق: د.عبد الحسين الفتلي - مؤسسة الرسالة - ط٣ - بيروت ١٩٨٨م
٧. الأغاني - أبو الفرج الأصفهاني - تحقيق: سمير جابر - دار الفكر - ط ٢ - د.ت - بيروت
٨. الإمتاع والمؤانسة - أبو حيان التوحيدي - تقديم أحمد أمين - سلسلة الأنيس - موفم للنشر - د.ط - الجزائر ١٩٨٩م
٩. امتداد المكون النحوي وتأثيره في تحديد الموقع - د. طه محمد عوض الله الجندي - مجلة كلية دار العلوم - جامعة القاهرة ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م
١٠. أمن اللبس ووسائل الوصول إليه في اللغة العربية - د. تمام حسان - مجلة كلية دار العلوم - جامعة القاهرة ١٩٦٨ / ١٩٦٩م



١١. الإيضاح العضدي - أبو علي الفارسي - تحقيق حسن شاذلي فرهود - - دار التأليف - ط ١
- القاهرة ١٩٦٩م
١٢. البرهان في علوم القرآن - محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله - تحقيق/
محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعرفة - د.ط - بيروت، ١٣٩١هـ
١٣. بنية النص السردى - يوري لوتمان - ترجمة: عبد النبي اصطيف - مجلة فصول - مج ١١ -
ع ٤ - شتاء ١٩٩٣م
١٤. النبوية وما بعدها - جون ستروك - ترجمة د. محمد عصفور - عالم المعرفة - ع ٢٠٦ -
الكويت ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م
١٥. البيان والتبيين - أبو عثمان عمرو بن بحر [الجاحظ] - تحقيق: المحامي فوزي عطوي - دار
صعب - ط ١ - بيروت ١٩٦٨م
١٦. تحليل النص الشعري [بنية القصيدة] - يوري لوتمان - ترجمة د/ محمد فتوح أحمد - دار
المعارف - د.ط/ د.ت - القاهرة
١٧. التداولية عند العلماء العرب [دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي]
- د. مسعود الصحراوي - دار الطليعة للطباعة والنشر - ط ١ - بيروت، لبنان يوليو ٢٠٠٥م
١٨. تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد - ابن مالك - تحقيق محمد كامل بركات - دار الكتاب
العربي للطباعة والنشر - د.ط - القاهرة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م
١٩. تفسير البحر المحيط - محمد بن يوسف المشهور بأي حيان الأندلسي - تحقيق الشيخ/ عادل
أحمد عبد الموجود، والشيخ/ علي محمد معوض، وشارك في التحقيق د. زكريا عبد المجيد النوقي،
ود. أحمد النجولي الجمل - دار الكتب العلمية - ط ١ - لبنان، بيروت ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١



٢٠. تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) - أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم
الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) - تحقيق: محمد حسين شمس الدين - دار الكتب العلمية - ط ١ -
بيروت ١٤١٩هـ
٢١. التفكير اللغوي بين الجديد والقديم - د. كمال بشر - دار غريب - ط ١ - القاهرة ٢٠٠٥م
٢٢. الخصائص - أبو الفتح عثمان ابن جني - تحقيق/ محمد علي النجار - عالم الكتب
- د.ط/ د.ت - بيروت
٢٣. الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض "بحث في المنهجو شكلية" - يوسف أوغليسي -
إصدارات رابطة الإبداع الثقافية - د.ط - الجزائر ٢٠٠٠م
٢٤. دراسة الأدب العربي - د. مصطفى ناصف - الدار القومية للطباعة والنشر - د.ط/ د.ت -
القاهرة
٢٥. دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي - د. أحمد المتوكل - بدون دار نشر - د.ط -
الرباط ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م
٢٦. دلائل الإعجاز - أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني - تحقيق:
د. محمد التنجي - دار الكتاب العربي - ط ١ - بيروت ١٩٩٥م
٢٧. ديوان لبيد بن ربيعة العامري - دار صادر - د.ط/ د.ت - بيروت - ص ١٣٢
٢٨. زمن النص - د. جمال الدين الخضور - دار الحصاد للنشر- والتوزيع - ط ١ - سورية،
دمشق ١٩٩٥م
٢٩. سر صناعة الإعراب - أبو الفتح عثمان بن جني - تحقيق: د. حسن هنداوي - دار القلم -
ط ١ - دمشق ١٩٨٥م



٣٠. شرح ابن عقيل - بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمداني - تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد - دار الفكر - ط ٢ - دمشق ١٩٨٥م
٣١. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب - ابن هشام - تحقيق: عبدالغني الدقر - الشركة المتحدة للتوزيع - ط ١ - دمشق ١٩٨٤ م
٣٢. شرح المفصل - ابن يعيش - عالم الكتب - د.ط/د.ت - بيروت
٣٣. الصاحبى في فقه اللغة، وسنن العرب في كلامها - ابن فارس - تحقيق مصطفى الشويبي - مؤسسة أ. بدران للطباعة والنشر - د.ط - بيروت ١٩٦٣م
٣٤. علم اللغة بين التراث والمعاصرة - عاطف مذكور - دار الثقافة - د.ط - القاهرة ١٩٨٧م
٣٥. علم اللغة النصبى بين النظرية والتطبيق - د. صبحي إبراهيم الفقى - دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع - ط ١ - القاهرة ٢٠٠٠م
٣٦. علم النص ونظرية الترجمة - د. يوسف نور الدين - دار الثقافة للنشر والتوزيع - ط ١ - مكة المكرمة ١٤١٠هـ
٣٧. علم النص [أسسه المعرفية وتجلياته النقدية] - د. جميل عبد المجيد حسين - مجلة عالم الفكر [في الأدب والنقد والبلاغة] - مج ٣٢ - ٢٤ - أكتوبر، وديسمبر ٢٠٠٣م
٣٨. عيار الشعر - محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي - تحقيق: محمد زغلول سلام - منشأة المعارف - ط ٣ - د.ت - الإسكندرية، مصر
٣٩. في المقاصد العامة للنحو العربي نظرًا وتطبيقًا - د. مصطفى أحمد عبد العليم - كتاب المؤتمر الثاني للعربية والدراسات النحوية [العربية وقرن من الدرس النحوي] - كلية دار العلوم - جامعة القاهرة ١٧، ١٨ ذو الحجة ١٤٢٣هـ / ١٨، ١٩ فبراير ٢٠٠٣م



٤٠. القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان - أوزولدزا ديكر، وجان ماري شمايفر - ترجمة منذر عياشي - المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء - ط ٢ - المغرب ٢٠٠٧م
٤١. قراءة مفهوم النص لنصر حامد أبو زيد - حسن حنفي - مجلة فصول - مج ٩ - ع ٣، ٤ - فبراير ١٩٩١م
٤٢. القصد ودوره في تفسير النص [دراسة نحوية دلالية نصية] - إعداد/ صلاح الدين شعبان مطاوع عبد العاطي - رسالة دكتوراه - إشراف الأستاذ الدكتور محمد حماسة - كلية دار العلوم جامعة القاهرة ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.
٤٣. قضية البنيوية [دراسة ونماذج] - عبد السلام المسدي - دار الجنوب للنشر - د.ط - تونس ١٩٩٥م
٤٤. الكتاب - أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه - تحقيق: عبد السلام محمد هارون - دار الجيل - د.ط / د.ت - بيروت
٤٥. لسانيات النص - محمد خطابي - المركز الثقافي العربي - ط ١ - ١٩٩١م
٤٦. اللغة العربية معناها ومبناها - د. تمام حسان - دار الثقافة - د.ط - القاهرة ١٩٩٤م
٤٧. اللغة وبناء الشعر - د. محمد حماسة عبد اللطيف - مكتبة الزهراء - ط ١ - القاهرة ١٩٩٢م
٤٨. مبادئ اللسانيات - د. أحمد قدور - دار الفكر المعاصر - ط ١ - بيروت، لبنان ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م
٤٩. مدخل إلى علم لغة النص - د. إلهام أبو غزالة و على خليل حمد - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ط ٢ - القاهرة ١٩٩٩م
٥٠. مدخل إلى علم اللغة النصي - فولفجانج هاينه، وديتر فيهفيجر - ترجمة د/ فالح بن شبيب العجمي - النشر العلمي والمطابع [جامعة الملك سعود] - د.ط - السعودية ١٤١٩هـ



٥١. مدخل أولي إلى علم النص، من نظرية الأدب في القرن العشرين - فان ديك - ترجمة
د. محمد العمري - إفريقيا الشرق - الدار البيضاء - د.ط - ١٩٩٧م
٥٢. معترك الأقران في إعجاز القرآن - السيوطي - تحقيق محمد علي البجاوي - دار الفكر
العربي - ط١ - القاهرة ١٩٧٣م
٥٣. مغني اللبيب عن كتب الأعراب - جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن هشام
الأنصاري-تحقيق: د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله - دار الفكر - ط٦ - بيروت
١٩٨٥م
٥٤. مفردات غريب القرآن - أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني - بدون
دار نشر أو مطبعة - د.ط/ د.ت - القاهرة
٥٥. مفهوم النص دراسة في علوم القرآن - د. نصر أبو زيد - الهيئة المصرية العامة للكتاب -
ط١ - القاهرة ١٩٩٠م
٥٦. المقاربة التداولية - فرانسوز أرمينكو - ترجمة سعيد علوش - مركز الانتماء القومي - د.ط/ د.ت
٥٧. من البنية الحملية إلى البنية المكونية - د/ أحمد المتوكل - دار الثقافة لنشر- والتوزيع -
ط١ - ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م
٥٨. من النص إلى الفعل [أبحاث التأويل] - بول ريكور - ترجمة: محمد برادة وحسان بورقية
- عين للدراسات والبحوث الإنسانية - ط١ - ٢٠٠١م
٥٩. الموافقات في أصول الفقه - الشاطبي: إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي - تحقيق
: عبد الله دراز - دار المعرفة - د.ط/ د.ت - بيروت
٦٠. نبرات الخطاب الشعري - د. صلاح فضل - طبعة مكتبة الأسرة - القاهرة ٢٠٠٤م



٦١. النحو والدلالة - د. محمد حماسة عبد اللطيف - دار غريب للطباعة والنشر- - د.ط -
القاهرة ٢٠٠٦م
٦٢. النص والخطاب [قراءة في علوم القرآن] - د. محمد عبد الباسط عيد - مكتبة الآداب -
ط ١ - القاهرة ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م
٦٣. النص والخطاب والإجراء - روبرت دي بوجراند - ترجمة: د. تمام حسّان - عالم الكتب -
ط ٢ - القاهرة ٢٠٠٧م
٦٤. نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية - د. مصطفى حميدة - الشركة العالمية
للنشر [لونجمان] - د.ط - القاهرة ١٩٩٧م
٦٥. النكت في تفسير كتاب سيوييه - الأعلام الشنتمري [أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن
عيسى] - تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان - معهد المخطوطات العربية - المنظمة
العربية للتربية والثقافة والعلوم - ط ١ - الكويت ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م



هذا الكتاب منشور في

